وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية.

استراتيجيات الخطاب في الشعر الشعبي الثوري

في "ديوان مغذي الأرواح و مسلي الأشباح" لـ:التومي سعيدان

(مقاربة تداولية)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة

تخصص: دراسات أدبية و نقدية ومقارنة.

إعداد الطالبة/: أم هاني توهامي. إشراف أ.د/: لعموري زاوي.

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د بن منوفي محمد ..... رئيســـــــــا

أ.د لعموري زاوي ..... مشرفــا ومقـــررا

أ.د بشي أمينـــة ..... عضــوا مناقشــا

الموسم الجامعي:2013/2012م.

بداية أسجد لله شكرا وحمدا

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله"

"ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" سورة النمل الآية 19.

معلمي و أستاذي الدكتور لعموري زاوي ، لو أنني أوتيت كل بلاغة لما كنت بعد القول إلا مقصرة في واجب شكرك ، جزاك الله عنا كل خير.

أشكر كل من قدم لي يد العون لانجاز بحثي هذا من قريب أو من بعيد ، الحاج التومي سعيدان رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى ، الحاج مداح وعائلته الكريمة،السيد الواعر محمود ، الأستاذ حمداوي عبد الرحمان ، الأستاذ عبدو علي عبد القادر وحرمه، الدكتور حينوني رمضان، الدكتور بكادي محمد ، شقيقتي نور الهدى ، وأخي أورزيق كينان (كناكي) ،السيد داودي قويدر ، عمي بن بية بالحاج ، السيدة توهامي أم الخير ، سليمان توهامي قدور . الأخ حاجي عبد الكريم ، سلقوم عبد الكريم ، عمال مكتبة المركز الجامعي وعلى رأسهم مديرها عبد الله شريف، جزاهم الله عني كل خير ، وأخص بالذكر و الشكر مقدّما أساتذتي الدكاترة الفضلاء في اللجنة المناقشة الذين لم ولن يبخلوا علينا بالتوجيه والنصح والتحفيز حتى يكون هذا البحث في المستوى إن شاء الله، جزاكم الله عنا كل خير .

أم هاني

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

[قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون] صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

الله جل جلاله

.. إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل أسمه بكل افتخار .. أرجو من الله أن يمد في عمرك ، لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول .. انتظار، وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

والدي العزيز "عبد الله سالم"

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة" أم الخير"

إلى من انشرح صدري بمعرفته و صدق معه قول القائل:* فكل امرئ يصبو إلى من يناسبه* الذي أبى إلا أن يساندني في انجاز هذا العمل فوقف معي وقفة صبر وعطاء

زوجي "براهيم"

.. إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد .. إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي

إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ، أريد أن أشكركم على مواقفكم .. النبيلة

اخوتي: "عبد القادر، علال وحرمه ،عبد النبي، سالم وحرمه ".

إلى أخواتي ورفيقات دربي ، صاحبات القلوب الطيبة ، هذه الحياة بدونكن لاشيء ، معكن أكون أنا وبدونكن أكون مثل أي شيء ..أنتن من تطلعتن لنجاحي بنظرات الأمل

مسعودة ، لالة جمعة ، فاتوحة

إلى من أرى التفاؤل بعينه .. والسعادة في ضحكته

إلى شعلة الذكاء والنور

عمي "عبد القادر سالم" وحرمه

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة ، والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي

إسماعيل، عمر، كوثر ، بسمة ، محمد ، هاشم ، فاطنية، عبد المنعم

إلى كل من حمل لقب توهامي و أورزيق.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى

ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت ، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة

سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم

صديقاتي

إلى كل من علمني حرفا ، ولم يبخل علي بنصيحة.

إلى زملائي وزميلاتي بمركز الحكيم للتدريب والاستشارات

إلى زملاء الدراسة ، و أسرة المركز الجامعي الحاج موسى آق أخموك.

إلى أعضاء النادي الأدبي ابن رشيق للفكر والأدب

إلى مسقط رأسي " تمنراست"

إلى كل من يؤمن بأن العلم نور والجهل ظلام.

إلى كل من سقط اسمه سهواً من لسان قلمي ، أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا.

أم هاني

التبويب المتبع في البحث:

مقدمة

مدخل

الفصل الأول: مفاهيم في المباحث الأساسية للتداولية:

I. مفهوم التداولية
   أ) المفهوم المعجمي
   ب)المفهوم الاصطلاحي
   ت) مميزات التداولية
   ث) فروع التداولية

II. مفهوم الخطاب
   1. مفهومه العام: المعجمي – الاصطلاحي في التراث العربي
   2. مفهوم الخطاب في منظور الغربيين

III. مفهوم الإستراتيجية و أنواعها
   أ) مفهوم إستراتيجية الخطاب
   ب)أنواعها
   1. إستراتجية الحوار و الإفهام
   2. إستراتيجية التوجيه
   3. إستراتيجية الإقناع

الفصل الثاني: استراتيجيات الخطاب في شعر التومي سعيدان:

I. الشاعر و ديوانه:
   أ) سيرة حياة الشاعر:
   1. مولده وبيئته
   2. تعليمه وموهبته الشعرية
   3. مسيرته المهنية والسياسية
   4. وفاته
   ب)وصف الديوان:
   1. من ناحية الشكل
   2. من ناحية المضمون

II. : دراسة في وسائل الإقناع و الحجاج المنجزة في شعر التومي:
   أ) الإستراتيجية الحوارية ، و الإفهامية:
   1. التخاطب و الخلفيات المعرفية
   2. سبل الإفهام بالشرح و التمثيل

ب)الإستراتيجية التوجيهية:

1. التوجيه بالاعتماد على السلطة الدينية
2. اعتمادا على الكفاءة العلمية
3. اعتمادا على العرف و التقاليد واستمالة المخاطب

ت)الإستراتيجية الحِجاجية

1. الإقناع بتقريب المعنى
2. استعمال السلم الحِجاجي
3. الاستعانة بالنصوص الشرعية(السلطة الدينية)

خاتمة

ملحق

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس

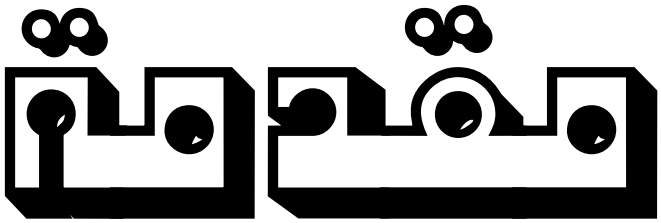

مقدمة :

هناك علاقة وثيقة لا يمكن إنكارها، أو تجاهلها بين الروح الإنسانية والأدب، إذ لا وجود للأدب ، دون وجود روح إنسانية مبدعة ، تخلق هذا الفن الأدبي ، ولا هناءَ أو استقرار للروح الإنسانية ، دون وجود متنفس تلجأ إليه وتجعل منه ملاذا لها ، سواء من خلال الإبداع والإنتاج بالنسبة لفئة المبدعين ، أو من خلال التلقي والاستهلاك بالنسبة لفئة غير المبدعين، الذين يلجؤون إليه ليسلون عن أنفسهم ، لذلك فعمر الأدب بدأ مع بداية تأمل الإنسان وتذوقه للجماليات .

ويمكن الجزم بأن الأدب الشعبي هو الميزة المتوفرة لدى كل الشعوب على اختلافها، لأنه اللبنة الأولى التي انطلقت منها مختلف الآداب والفنون ، فهو في زمن مضى كان يمثل ضرورة من ضروريات الحياة اليومية ، التي استفاد منها الشعب في مجالات عدة ، وسيظل كذلك ، خاصة في مجال التوجيه الفكري والثقافي ، ومجال الإصلاح والإرشاد ، والحث والتحفيز ، والترفيه أيضاً...الخ ، لذلك تنوعت مجالاته وأغراضه وتعددت حسب الحاجة .

وربما نجد أن القسط الكبير لهذا النوع من الأدب قد فاز به الشعر، واصطلح على تسميته " الشعر الشعبي" ، فكان لهذا اللون من الأدب أصحابه الذين أبدعوا فيه وعشاقه الذين أغرموا به.

كما أن الأدب الشعبي هو الأقرب إلى القلوب ، لأنه يلبس ذلك الثوب البسيط ، الذي يجعله مألوفاً ومتداولاً وقريباً من طبيعة الشعوب ولغتهم، وقد جعله أصحابه وسيلة للتعبير عن اهتمامات الشعوب أقراحها وأفراحها ، أو وسيلة لإرشادها وإصلاحها ، فلطالما تحمل الشعراء الذين ناضلوا من أجل شعوبهم هذا العبء ، فكانوا اللسان الناطق والعقل المفكر .

ونظرا لطبيعة الدراسة التي تحتاج إلى رسم حدود زمانية ومكانية ، وإلى التخصيص من أجل الدقة ، اخترت أن أركز في هذه الدراسة على منطقة

الجنوب الجزائري، بالاقتراب مما جمعه ديوان أحد أبناء هذه المنطقة ، والذي كان دليلا ثابتا عن جهاده الثوري، ودليلا لا ينكر عن جهوده في الدعوة والإصلاح ، في ظل جو غطّت شمسه ضبابية الاستعمار، لنضع أيدينا عليه ، وهو الشاعر "التومي سعيدان" علَم من أعلام الشعر الشعبي في منطقة تديكلت (عين صالح) بتمنراست ، شاعر الجنوب الذي ناضل بقلمه إلى جانب السلاح ، من أجل الدعوة الإصلاحية ، بإتباع نهج الفلاح والصلاح ، وهو نهج الدين الإسلامي ، فكان مرشده إلى سبيل الحق والنصر والخير، واستراتيجية ناجعة لشحذ الهمم و الدعوة إلى حمل السلاح والجهاد ضد المستدمر الفرنسي، في ظل جو كانت تتربص به دوائر الفساد ، وكان الشعب في أمس الحاجة إلى التوعية والنصح.

واختياري لهذا الموضوع كان سعيا لإبراز ما تميزت به قصائد هذا الشاعر الثورية الإصلاحية ، من استراتيجيات خطابية وحس إبداعي ، وظفها الشاعر لتحقيق هدفه من وراء خطابه الشعري لشعبه، و هو الدعوة إلى الإصلاح وإلى حمل السلاح، في وجه المستعمر ، و لعل هذا ما كان محفزا لي للقيام بهذه الدراسة ، التي حاولت فيها أيضا التأكيد على أن هناك شعراء من جنوب الجزائر، حملوا على أعتاقهم همّ لغتهم ووطنهم، بل و أمتهم ، فسخروا أنفسهم لخدمتها قولا وفعلا ؛ كذلك من دوافع اختياري لهذه الدراسة هو إثبات الأصالة الكامنة ، التي تتجذر من الدين الحنيف في موروثنا الشعبي شعره ونثره، فقصائد هذا الشاعر دليل ثابت على ذلك.

إضافة إلى الهدف الأسمى الذي يسعى ورائه كل باحث ،وهو الإسهام بجهد متواضع ينضم إلى الجهود التي قام بها الباحثون في مجال التداولية.

أما عن أهمية هذه الدراسة فهي لا تخفى حيث أن هذا الفن (الشعر الشعبي) أوغيره من الفنون الشعبية ، آيلة للزوال برحيل أصحابها ، لذلك فهو يحتاج إلى عناية بحثية علمية متخصصة ، واجتهادات من قبل الدارسين الأكاديميين ، لتحقيق وتوثيق هذا الإرث الذي يحمل هوية و ثقافة الشعوب وأصالتها، فإذا

ضاع ضاعت هي الأخرى كذلك، خاصة وأن مثل هاته الدراسات صارت هي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها الدراسات الأكاديمية ،ليس فقط في مجال الأدب ، بل في مختلف التخصصات.

وحتى أرسم لهذا البحث حدوده المعرفية ، لكي يكون ملما بما أسعى إليه في هذه الدراسة ، وهو دراسة البعد التواصلي التوجيهي الإقناعي ، وطرقه (استراتيجياته) في الخطاب الشعري الشعبي ، باعتماد مدونة الشاعر التومي سعيدان مجالا للتطبيق ، فقد استدعت إشكاليته البحث في مدى نجاعة المنهج التداولي في تحليل الخطاب الأدبي ، وبالخصوص الشعبي ؛ في شكل من أشكاله وهو التداولية الإبداعية ، من أجل رصد خصائصه ، وتثمين الجهود المبذولة من قبل الشاعر في كفاحه بالقول إلى جانب الفعل من أجل الثورة ، وأيضا للكشف عن الأسباب والدوافع التي جعلت خطاب الشاعر "الحاج سعيدان" رسالة تواصلية واضحة و ناجحة ، كما جعلت منه شخصية محترمة لها مكانتها ووزنها وسط شعبه ووطنه، ومنحت القبول لخطابه الشعري ، خاصة في دعوته إلى الإصلاح والثورة ضد الاحتلال الفرنسي، وإبراز ذلك من خلال دراسة الخطاب الشعري في قصائده.

جاءت هذه الدراسة وفق خطة تضمنت : مقدمة و مدخلا وفصلين وخاتمة.

وقد عنونت المدخل بـ: منطقة عين صالح : التاريخ و المجتمع و الثقافة ، للوقوف على خصوصيات المنطقة و التعريف بها باعتبارها موطن الشاعر الشعبي "التومي سعيدان"، أما الفصل الأول فقد سعيت من خلاله إلى بسط تحديدات التداولية والخطاب، وكذا إستراتيجية الخطاب ، وفق منظور التداوليين .

أما الفصل الثاني فقد تطرقت فيه إلى إعطاء لمحة عن حياة صاحب الديوان ، وتقديم وصف لديوانه ، قبل الشروع في البحث عن استراتيجيات الخطاب في شعر "التومي سعيدان" ، وذلك بالوقوف عند وسائل الإقناع و الحجاج المنجزة، في نماذج من شعر التومي.

ثم الخاتمة التي كانت حوصلة النتائج ، المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

وقد اقتضت هذه الدراسة وطبيعة الموضوع ،إلى الاستعانة بالمنهج التكاملي حيث استعنت بالمنهج التاريخي ، إلى جانب المنهج الوصفي في الفصل الأول كأرضية للبحث ، وطبقت المنهج التداولي في أحد أشكاله وهي التداولية الإبداعية ، وذلك تبعا للمادة المدروسة (الشعر)، إلى جانب ما استدعته الدراسة من المنهج التكاملي في الفصل الثاني.

وقد استعنت في هذه الدراسة ببعض المراجع ، التي رأيت أنها مهمة في انجاز بحثي هذا .

و في النهاية أرجو أن أكون قد وفقت في وضع الخطوة العامة لبحثي هذا ، وفي عرضها ، راجية من الله أن تبلغ حدا مرضيا من القبول ، وبالله التوفيق.

مدخل

مدخـــــــــــــل :

منطقة عين صالح : التاريخ و المجتمع والثقافة:

بوسط الصحراء الجزائرية وبأقصى الجنوب ، على مسافة تقدر بـ: 1276 كلم عن العاصمة ، تتواجد منطقة "تديكلت" ، بين "توات" غرباً ، وهضبة "تادمايت" شمالاً ، وهضبة "مويدر"ايميدير" جنوباً.[1] وتقع أساساً بين خط عرض 26°،30° و27° ،30°شمالاً، وخط الطول 30°، 0 شرقاً و 30°، 1° غرباً [2].

أما "عين صالح" تعد عاصمة "تديكلت" التاريخية، وتبعد عن "المنيعة" بـ: 400كلم، وعن "تمنراست" بحوالي 658كلم ، وعن "أدرار" بمسافة 347كلم ، تتميز بمناخ صحراوي حار صيفاً وبارد شتاءً ، أما الرياح والزوابع الرملية فإنها تكثر خاصة شهر فيفري ومارس[3]، وفيما يخص أصل تسمية هذه المنطقة بـ: "عين صالح" فقد اختلف الرواة المؤرخين حولها ،وتعددت فرضيات تسميتها بهذا الإسم ، وهاته بعض الفرضيات التي وردت في هذا الشأن :

1) "عين صالح" تسمية أطلقت على عين (نبع) في الغابة ، اختلفت الآراء في مكان تواجدها ، فرأي يقول أنها قرب "قصر بلقاسم" ، وآخر يقول أنها قرب "قصر الجديد"، و"صالح" إسم الرجل الذي عثر عليها ، ويقال أنه من عبيد قبيلة "كيل أحملان" المنحدرة من توارق الهقار، وهم بدو رحّل ، وبذلك سميت تلك المنطقة أو الوادي نسبة لهذا الرجل.[4]
2) هناك رواية أخرى تتطابق تقريبا مع الرواية السابقة ، إلا أن الاختلاف هو أن الرجل المذكور " صالح" ، كان ضمن قافلة للحجيج ، فاشتد به المرض ، فتوقف في واد ، بينما أكملت القافلة رحلتها ، ولما شفاه الله

[1] التومي الحاج سعيدان، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، ط2، العالمية للطباعة و الخدمات ، الجزائر 2012م ، ص9.
[2] عبد الرحمان بالنوي، تديكلت – دراسة جغرافية و تاريخية و عادات البلاد - (د ط) ، وهران 1909م ، ص2.
[3] التومي سعيدان ، المصدر السابق، ص11.
[4] عبد الرحمان بالنوي، المرجع السابق، ص 22.

قرر أن يقيم فيها ، فحفر بئرا في تلك المنطقة ، وأطلق عليها اسمه ، و شرع في غرس النخيل ، وزرع الأرض.[1]

ومن خلال الفرضيتين السابقتين نجد أن المعلومة المرجحة في كليهما ، تشير إلى أن منطقة "عين صالح" هي منطقة بها ماء ، سواء كان هذا الماء مصدره بئر أو نبع، وجاءت تسميتها منسوبة للرجل "صالح" الذي عثر عليها أوحفرها.

كما نجد الاختلاف أيضا في أصل إسم عاصمة "تديكلت*" ، هل هو من أصل عربي أو بربري، إذ حين بحثنا في بعض المصادر صادفتنا تسميتين " عين صالح" و " إن صالح" ، وللعلم فإن التسميتين لهما نفس الدلالة، ولعل أرجح ما بلغنا منها هو إسم "إن صالح" البربري ، لأن " سكان "تديكلت" القدماء كانوا من البربر"[3] ، كما أننا نجد إسم "تديكلت" هو أيضا بربري التسمية فـ"إيديكل" هو الكف ، ومن المتعارف عليه أن كل إسم يبدأ" بالتاء" أو "آيت "أو" إن " أصله بربري [4]، ولهذا فإننا نجد إسم " إن صالح " هو الاحتمال الأكثر منطقية من غيره ، لأن الكثير من المناطق التي يتواجد بها التوارق تبدأ ب" إن " إلى يومنا هذا كـ : (إن قزام ، إن دلاغ ، إن أمقل ، ...إلخ) و"إن" في التارقية تفيد التمليك.

أ سكان عين صالح :

تمكنت عين صالح أن تجمع على أراضيها تركيبة إجتماعية متنوعة ، سنذكرها هنا حسب إنتماء كل واحدة منها :

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، المصدر السابق ، ص 18.

* منطقة تقع وسط الصحراء الجزائرية وبأقصى الجنوب ، على مسافة تقدر بـ: 1276 كلم عن العاصمة ، تقع بين "توات" غرباً ، وهضبة "تادمايت" شمالاً ، وهضبة "مويدر"ايميدير" جنوباً.[2] وتقع أساساً بين خط عرض 26°،30° و27° ،30°شمالاً، وخط الطول 30°، 0 شرقاً و 30°، 1° غرباً.

[3] التومي الحاج سعيدان، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس، مصدر سابق، ص 18.
[4] التومي الحاج سعيدان، المصدر نفسه ، ص18.

1) قصر المرابطين : ويشمل "أهل عزي" و "أولاد باحمو ، يعود تأسيسه إلى القرن الرابع الهجري الموافق للحادي عشر ميلادي (ق4هـ - ق11م).

"أهل عزي" من "تافيلالة" ، ويرجع أصلهم إلى المسمى "محمد ابن الحنيفية* ابن علي ابن أبي طالب"، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان "سيدي محمد ابن الحنيفية" قد قال لمؤسس القبيلة :" من أعزك أعزه الله ،ومن أذلك أذله الله"[1] ، ومن هنا أخذ أبناء القبيلة اسم "عزي" ، وتوجد حاليا بحي "أولاد بلقاسم" قبة "سبعين صالح" من أبناء عزي ، وذلك للدلالة على عدد أولياء الله الصالحين من أبناء عزي.

2) قصر العرب : "أولاد باحمو و المختار" :

أسس في القرن الخامس الهجري الموافق للثالث عشر ميلادي (ق5هـ - ق13م) من طرف "المحاميد" ، بجوار "قصر المرابطين" ، يقال أن مؤسسه اسمه "عمر ملوك" قدم من الجبل الأخضر شرق بنغازي ، وكان له ثلاثة أولاد : باحمو ، باباعيسى ، المختار، وهم مؤسسو القبائل : (أولاد باحمو ، أولاد المختار ، أولاد باباعيسى ، أولاد باجودة) وهذا الأخير فرع من "أولاد باحمو" ، وكان لـ عائلة "باجودة" تأثير ديني قوي ، ولم تكن عائلته ذات مكانة عالية ، و ذات حكمة في أمور الحكم و القيادة داخل عين صالح فقط ، بل خارجها أيضا ، إذ كان يُستشار في تلك الأمور من طرف السلطان المغربي آنذاك.[2]

ضم "قصر العرب" مجموعة متماسكة من السكان ، مختلفة الفروع والأنساب ، منهم "العرب" و "المرابطين" من "تيط" وهم ينتمون لأهل "عزي"، كما نجد "أولاد دحان" و"الزناته" ، و"أولاد سوكنة" ، يقال أنهم

* الصواب الحنفيّة ، ولكن نقلناها كما جاءت في المصدر ، مراعاة للأمانة العلمية.
[1] التومي الحاج سعيدان، سكان تديكالت القدماء و الاتكال على النفس، مصدر سابق، ص 30.
[2] عبد الرحمان بالنوي، تديكلت – دراسة جغرافية و تاريخية و عادات البلاد، المرجع السابق ،ص 24.

توارق ، هناك أيضا أفارقة أطلق عليهم اسم "الحراطين"* في اللغة العامية ، ينتشرون في شمال أفريقيا و شبه الجزيرة العربية وحتى القارات الأربع .

3) سكان اينغر:

سكانها الأوائل هم التوارق الذين عرفوا بقبيلة "كيل أهميلان" ، أو "أكال أهمملان" ، إلا أن سكان "إينغر" كانوا ينضمون منذ القدم في تركيبة بشرية، تقيم داخل الواحات والقصور، أول من مكث بها من السكان هم عبيد "إكلان"، لكنهم فقدوا سيادتهم بسبب الحروب والنزاعات ، حتى جاءت قبيلة "أولاد خليفة" من "عين الشعير" بالمغرب الأقصى تبعد حوالي 1770 م عنها ، ثم توالت القبائل وأصبحت "إينغر" معمورة بعدة قبائل أتت من كل حدب ، نجد : قصر أولاد "أحمد باجلول" وبه "أولاد عبد السلام" (خليفة) و "أولاد موحميدة" و"اولاد بوتقي" .[1]

كما نجد بقصر "حادقي": أولاد حادقي (أهل عزي) و "أولاد بلغيت" و"أولاد بن الشيخ".

ب الحياة الاجتماعية :

استطاعت الأجناس المكونة لمجتمع "عين صالح" المحافظة على تباينها تماما على شكل طوائف منغلقة ، فالطبقة المسيرة هي من "العرب و البربر"، في حين يمثل "الحراطين" الطبقة العاملة ، وتوكل لهم كل الأعمال الشاقة ،وهم في أغلب الأحوال عملاء لقبائل العرب و البربر ، كما أنهم مكلفين بالأعمال العامة، حيث يسمون الأشغال الجماعية بـ(التويزة) التي تقام على أنغام موسيقية [2].

* الحراطين : حسب المؤرخين هم سكان سود ينحدرون من سكان المنطقة تعايشو مع البرابرة و العرب ،و يعرفون على انهم سكان الفقاقير (جمع فقارة)

[1] التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، مصدر سابق ، ص 37.

[2] التومي الحاج سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، حي القصبة ، 02 – 10 – 2012م، من الساعة 09:00 صباحا إلى 13:00ظهرا.

والطبقات الاجتماعية نادرا ما تختلط فيما بينها ، فالبيض يتزوجون فيما بينهم، وبعض الأحيان قد يتزوج البيض من نساء سود ، ولكن من غير الممكن أن يحصل العكس ، إلا في حالات استثنائية[1].

لكن بحلول القرن التاسع عشر، تلاشت قوانين الطبقية والعبودية ، خاصة بعد احتلال المستعمر الفرنسي للجزائر، صار الجميع سواسية ، يمثلون يدا واحدة، فكانوا موقنين أنهم مستعبدون ومضطهدون من قبل فرنسا المستعمرة، وكان همهم الوحيد هو العمل على نيل الحرية وطرد المستعمر .

السكان بـ "عين صالح" يتكلمون العربية (الدارجة) ، وهي اللغة السائدة بعموم "تديكلت"، أما العائلات البربرية تتكلم (الزناتية) ، والعديد من الناس يعرفون التحدث بـ:"التماهق" وهي لهجة توارق الشمال .

في العائلات الفقيرة و المتوسطة تخدم المرأة نفسها وعائلتها، بنفسها ، أما بالنسبة للعائلات الغنية ، فلهم و لنسائهم خدم يسهرون على خدمتهم .

أما الضيافة فهي عادة مطلقة ، وكل المسافرين يتم استضافتهم من طرف السكان المحليين الذين يتقاسمون استضافتهم وإطعامهم ،والذين يمكثون منهم لمدة طويلة، يتنقلون من ضيافة عائلة إلى أخرى ، طوال مدة إقامتهم ، وإذا كانوا من كبار الشخصيات ، أو ذوي مكانة عالية ، ينزلون عند كبير القبيلة ، وفي هاته الحالة يتم إرسال الولائم لهم هناك من قبل المضيفين، كما يتعاقبون عليهم بالضيافة في محل إقامتهم .

الجماعة: في كل قصر يندرج تحت اسم الجماعة ، تجمع كبار الأقاليم، والتي حافظت على الكثير من الأدوار التي كانت تقوم بها إلى ما بعد الاحتلال ، وقد عرفت بالحكمة والحماسة الدينية ، كما أنها تضم كبار القوم و أكثرهم ثراءً، ومكانتهم هاته لم ينالوها عن طريق الانتخاب أو إجماع الناس على اختيارهم، لكنهم بذلوا من المعروف حتى فرضوا أنفسهم على عشيرتهم ،

[1] التومي الحاج سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، مصدر سابق.09:00 صباحا-13:00 ظهرا.

بمبادرتهم بتقديم النصائح ، ومد يد العون للمحتاجين ، فرأى الناس أنهم استحقوا هذا المنصب وهم أولى به من غيرهم.[1]

الزواج : يتم الزواج في" عين صالح "حسب الشريعة الإسلامية ، ومن العادات الحميدة التي كانت سائدة عند القدماء ؛ التبكير بتزويج البالغين سن الزواج ، والصداق لا يتجاوز خمسة أشياء تهدى للعروس من قبل أهل زوجها :(حولي صوف) ثوب المرأة الذي تتستر به عند خروجها من البيت ، (طنفصة صوف) فراش مصنوع من صوف الغنم، (ادباليز فضة) أساور مصنوعة من فضة تضعها المرأة في معصمها، (صباط مطرز بالحرير) حذاء رفيع ومنمق[2]، بالإضافة إلى (الصداق).

بعد كتابة عقد الزواج من طرف الإمام (الطالب)، بحضور ولي الزوجة ، ووكيل عن الزوج و شهادة الشهود . تقوم النساء بتزيين العروس ، وإحضارها لزوجها في موكب بهيج تحت طلقات البارود والزغاريد .

أما عن وضعية المرأة في هذا المجتمع، فهي أكثر استقرارا من مثيلاتها بباقي مناطق الوطن، فهي عماد البيت، تتقاسم و زوجها مسؤولية المعيشة ، لذلك فهو يكن لها الكثير من الاحترام و المودة ، إلا أن الزوج يبقى هو السيد داخل البيت وخارجه ، والذي توكل له كل المهمات الصعبة ، و الحياة بين الزوجين مبنية على التعاون ، فهو يشاورها و هي تشاوره في بعض الأمور، ويأخذان برأيِيْ بعضهما في شؤون حياتهما .

الولادة : عندما يرزق الزوجان بمولود يأتي الناس لتهنئتهما ، وبعد أسبوع من الولادة يقوم الأب بذبح العقيقة وتسمية المولود ، ويحضر ذلك الأهل والأقارب والأصدقاء.

وبعد أن يبلغ المولود الذكر خمس أو ست سنوات يختنونه ، وهو ما يطلقون عليه (الطهارة)، ويحتفلون بالختان كما يحتفلون بالعرس .

---

[1] عبد الرحمان بالنوي ، تديكلت – دراسة جغرافية و تاريخية و عادات البلاد ،مرجع سابق، ص 44.
[2] التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، مصدر سابق ، ص 50

اللباس : يميل لباس المنطقة إلى لباس أهل السودان ، فالرجال يرتدون سراويل من القطن الأزرق وبرنوس ، والنساء يلبسن في أرجلهن البابوش ، وعبايات عديدة واحدة فوق الأخرى ، ويلبسن عليها حايك أو حولي كما يسمونه عندهم، (قطعة طويلة من القماش تستتر بها المرأة عند خروجها من بيتها) .

الطعام : يتمثل في القمح و الشعير اللذان تصنع بهما الكسرة والخبز ، الكسكس، والمردود (كسكس بحبات غليظة).

أما اللحوم فهي تتنوع بين لحم الغنم والماعز ، ولحم الجمال ، وكذا البقر ، وبعض اللحوم البيضاء.

يمثل التمر والحليب طعام معتاد في المنطقة، لأنهما في الغالب ينتجان محلياً، في حين يؤتى بالشاي والسكر والقهوة و البقوليات والمكسرات من باقي مناطق الوطن ، أو من خارجه.

جـ ـ المواسم الثقافية و الأعياد الدينية :

يعد دخول الإسلام إلى منطقة تديكلت حافزاً أساسيا لبروز حركة ثقافية عالية ، نتيجة توافد نخبة من المشايخ والعلماء ، لاسيما أولائكـ القادمين من منطقة توات ،مما ساهم كثيراً في نهضة البلاد وبث روح العلم والتعلم والثقافة خاصة الدينية منها ، فكانت بعض المواسم التي يتم الاحتفال بها على مدار السنة بدءا بـ[1]:

1. الاحتفال برأس السنة الهجرية:

في صباح هذا اليوم الجديد من العام الهجري الجديد ، يتعايد الجيران والأقارب والأصدقاء ، وترتسم الأجواء بطابع بهيج كما هو الشأن يوم العيد، ويكون هذا اليوم فرصة لإقامة الولائم ، إذ أن معظم الناس

[1] التومي الحاج سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، حي القصبة ، 02 – 10 – 2012م، من الساعة 09:00 صباحا إلى 13:00ظهرا.

يستغلون هذا اليوم لصلة الأرحام، فتجتمع العائلات للإفطار حول مائدة واحدة ، ويدعون الله أن يجعل عامهم الجديد عام خير عليهم.

2. يوم عاشوراء :

ومن المواسم الدينية أيضاً يوم عاشوراء ، إذ أن معظم الناس يستغلون هذا اليوم للصيام ، فيصومون يوم عاشوراء واليوم التاسع قبله، أو الحادي عشر بعده، مخالفة لليهود الذين كانوا يصومون يوم عاشوراء فقط ، فتجتمع العائلات للإفطار حول مائدة واحدة، ويدعون الله أن يكفر عنهم ذنوب عامهم الذي مضى ، ويجعل عامهم الجديد عام خير عليهم.

أما عن احتفال الصغار بهذه المناسبة ، فقبل وصول هذا اليوم المبارك يتسارع الأطفال صبيانا كانوا أو فتيات ، لصنع ألعاب للتسلية ، فالفتيات يتسارعن لصنع وسائل التزيين ، كالحلي التقليدية فيصنعن (الدبليز) وهي أساور من عقيق والجلد المدبوغ، وسلاسل من الأصداف و القواقع تسمى (البوع بوع)، تجلب من البساتين أوجداول الماء. أما الصبيان يصنعون بنادق لـ:اللعب مصنوعة من سعف النخيل، ويتجه الجميع في هذا اليوم الفضيل نحو واحات النخيل ، وعندما يصل الجمع إلى آخر حدود الواحات يبدأ الرقص هناك، ومن العادات التي تكون في ذلك اليوم أن يتجه كل خطيب نحو بيت خطيبته ليرشها بالماء ، وهكذا حال كل فتاة يجدها الأطفال خارج البيت[1].

أمَا في الليل فيحدث ما يشبه كرنفال (شايب عاشوراء)؛ إذ يقوم أحد الرجال بتحضير عباءة وبرنوس ، وتركيب لحية من ليف النخيل يدعى (لفدام) ، وزخرفة من وبر الإبل وهو مصحوب بحشود من الصبيان يسيرون وراءه في الشوارع ويرددون " شيبة شايب عاشوراء" ، وفي نفس اليوم يُخرج الأغنياء زكاة أموالهم ويوزعونها على الفقراء[2] .

[1] التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، مصدر سابق ، ص75.
[2] التومي سعيدان ، المصدر نفسه، ص75.

وهناك عادة ألفها الناس في هذا اليوم ، هي خبز الثريد الذي يحضر، ويتم توزيعه بين الجيران كصدقة ، ليكون الثريد هو الأكلة الرسمية لفطور هذا اليوم في الكتاتيب والمساجد، وفي كل بيت تقريبا.

3. الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

يبدأ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عشرة أيام قبل يوم المولد ، ففي هذه العشر من بعد صلاة المغرب يجتمع الرجال في المساجد يقرؤون (البشير)، وهو بعض القصائد المديحية لإبن مهيب، بالاضافة إلى البردة و الهمزية ، التي ألفت في حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته ، بذكر فضائله ومعجزاته ، ويتواصل ذلك إلى ليلة المولد ، التي تكوّن فيها حلقات في المساجد من بعد صلاة العشاء ، إلى وقت متأخر من تلك الليلة ، تتردد فيها المدائح .

وبعد أسبوع من المولد ، يتجدد الاحتفال في صباح اليوم السابع ، بالمديح إلى ما بعد الساعة الواحدة ظهراً ، بعد تناول وجبة الفطور، يتفرق الجمع إلى المساء حيث يلبس الجميع أحسن الثياب ، ويلتحقون بالمساجد لحضور ختمة القرآن الكريم والدعاء، وبعد ذلك يتصافح الحضور ويتسامح كل متخاصمين [1].

وبعد ذلك يكون احتفال العامة برقصات البارود المعروفة بـ:(البرزانة) .

4. شهر رمضان و عيد الفطر :

في الأيام الأخيرة من شهر شعبان يستعد سكان "تديكلت" في كل أقاليمها، لحلول شهر رمضان الكريم، بتحضير بعض الوجبات الشعبية التي تلازم هذا الشهر، كـ(السفوف) التي تتكون من التمر و(الكليلة) وهي جبن تقليدي مجفف على شكل كتل ، وهي وجبة السحور، و(زمبو): القمح يحصد قبل نضجه ويحمص بطريقة خاصة ، ثم يطحن وتعدّ به وجبة الإفطار الرئيسية وهي الحساء، يفطر بها الصائمون بعد تناولهم التمر والحليب. وفي ليلة 29 من رمضان يتم تقسيم

[1] التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، المصدر السابق ،ص74.

(الفطرات) زكاة الفطر على المساكين ، وبعد صلاة العيد تتبادل الزيارات والتهاني بالعيد بين السكان.

5. عيد الأضحى المبارك ، وموسم الحج :

بحلول شهر ذي الحجة يتأهب أرباب العائلات لشراء كبش العيد، ولباس جديد لذويهم ، حتى تكتمل الفرحة .

"وفي ليلة العاشر من ذي الحجة تقوم البنات بتذكير الأهالي بيوم عرفات فيقفن عند كل بيت يرددن إحدى الأناشيد المحلية : (عرفة عرفة ليلة عشرة ، سيدي أمحمد قيّم خوك وإلا أمك من أعطانا الشعير يعطيه الخير ، ومن أعطانا القمح يعطيه بعير ...)"[1]

وتحضيراً للعيد يقوم تلامذة الكتاتيب بترديد تلك العبارات المرسومة على الألواح : " عرفة عرفة ، بيضة بيضة لله ، باش نبيض لوحي ، لوحي عند الطالب ، الطالب في الجنة، والجنة مفتوحة ، فاتحها مولانا ، مولانا مولانا ، يا سامع دعانا، لاتقطع ارجانا ، بجاه محمد ، صاحب المدينة ، هو يشفع فينا ، في يوم القيامة "[2]

في صباح يوم العيد يخرج الناس إلى صلاة العيد ، وبعد الصلاة يذبح الإمام أضحيته أمام المصلين ، وبعدها يذهب كل فرد إلى بيته ليذبح أضحيته ، وبعد وجبة الفطور تبدأ زيارة ومعايدة الأقارب و الأصدقاء ، أما يوم الحادي عشر من ذي الحجة الذي يسمونه (يوم التشراح)، يقومون بتقطيع الأضحية ويتصدقون بربعها على الفقراء والمساكين[3] .

أما عن فريضة الحج ، بعدما يؤدي الحجاج فريضتهم يعودون إلى ديارهم ، حيث يستقبلهم السكان في كل محطة ، بالتهليل و التكبير ، وقراءة البردة والهمزية ، فبعد أن يصل الحاج إلى بيته ، تقام وليمة على شرف عودته من

---

[11] التومي سعيدان ، المصدر السابق، ص 77.
[2] التومي سعيدان ،سكان تديكلت القدماء والاتكال على النفس، مصدر سابق ، ص 78.
[3] التومي سعيدان ،المصدر نفسه ، ص78.

البقاع المقدسة ، و تسمى (الكرامة) تكريما له و تبركا بعودته الميمونة، وبعد تناول هذه الوجبة تقرأ الفاتحة، ويأتي الناس لزيارة الحجاج وتهنئتهم بآداء الفريضة ، وتوضع أمام الحاج أو أمه أو زوجته ، قصعة بها حبوب الشعير والتمر و ورق الحناء ، وتعطى لكل من جاء للزيارة حفنة من ذاك الخليط ، ليتبرك صاحبه بأكل تمره ، وإعطاء شعيره لماشيته ، ويقال أنه بأكله تلد الأنثى توأم ، و استعمال الحنة للزينة[1].

هاته هي المواسم التي تميز منطقة تديكلت عامة و عين صالح خاصة ، وبما أن هاته الدراسة جاءت لدراسة شعر أحد أبناء هاته المنطقة ، كان لزاما علينا أن نشير إلى نقطة هامة هي :

الحياة الأدبية : الشعر و الشعراء : الشعر في ماهيته " يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي : اللفظ، و الوزن ،و المعنى، و القافية ،فهذا هو حد الشعر،"[2] ، اقتصرنا الحديث عن الحياة الأدبية في جانب الشعر فقط ، لأنه سلطان الأدب والعقول ،كما أن المجتمع أغلبه أمّي ، ليس مثقفا إلى درجة أنه يولي اهتماما بقراءة الأدب المنثور كالروايات والقصص، إلا ما كان يحكى منها من قبل الحكواتي، ومن العوامل التي ساعدت على اهتمام المجتمع بالشعر، هو تناقله الشفوي ، وطبيعته الساحرة التي تُرغّب سامعيه -خاصة المهتمين به- بحفظه وتناقله.

وكان الشعر في هذه المنطقة " يتناقل شفويا ، ويأتي عن طريق القوافل التجارية، عندما كانت تعرف المنطقة بتبادلاتها التجارية المتعددة...فيما بين البلدان المجاورة للجنوب الجزائري ، "تديكلت*" كانت المحور الرئيسي لكل تلك النقاط الهامة في النشاطات التجارية والثقافية ، فاعتُبرت مفترق الطرق"[4] ، من

---

[1] ينظر التومي سعيدان، المصدر السابق ، ص78.

[2] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ، الشعر ،تح: محمد محي الدين عبد المجيد ،دار الرسالة الحديثة، (د ت ط)،القاهرة، ص68.

* منطقة تقع وسط الصحراء الجزائرية وبأقصى الجنوب ، على مسافة تقدر بـ: 1276 كلم عن العاصمة ، تقع بين "توات" غرباً ، وهضبة "تادمايت" شمالاً ، وهضبة "مويدر"ايميدير" جنوباً.[3] وتقع أساساً بين خط عرض 26°،30° و27° ،30°شمالاً، وخط الطول 30°، 0 شرقاً و 30°، 1° غرباً.

[4] التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، المصدر السابق ، ص101.

خلال هذا القول نجد أن الظروف التي كانت تعيش فيها هذه المنطقة ، كلها كانت مساعدة لتكوين رصيد ثقافي غني فيها ، ساهم في تنمية قدرات ذوي الموهبة الشعرية ، فبرزت أسماء شعراء أغلبهم أبناء هاته المنطقة، سنورد أسماء هؤلاء الشعراء فيما يلي من الفقرات.

مكانة الشعر و الشعراء في المجتمع :

يعد الشعر الوسيلة التي يعبر بها العرب عن أغراضهم ومكامن أنفسهم منذ القدم ، كما أنه يعد المرآة العاكسة لثقافتهم وتراثهم ، وهو الحال نفسه في كل البلاد العربية إلى اليوم ، وكان للشعراء مكانة خاصة عند الناس ، وهذا ما وجدناه في تاريخ الأدب و الشعر حيث أن " العرب قد عدوا الشاعر نبيا ، أومتنبئا ، إذ رأوا الشاعر بمقام عظيم ، فتسنّم لديهم تلك المنزلة السيادية ،حتى لقد تخيلوا كلامه وحيا يأتيه عن عالم غيبي ربطوه بعالم الجن ، كما بقي هذا التصور في مأثورنا الشعبي"[1] مما أعطى للشعراء منزلة خاصة في نفوس العامة، فاحتفوا بهم وحفظوا أشعارهم في الصدور والسطور ، كما تناقلت أشعارهم القوافل التجارية من بلد لآخر. .

ولكل منطقة شعراؤها وأغراضها الشعرية ، وقد شاع في منطقة "تديكلت" الشعر العامي ، الذي اعتمد في نقل التراث الفلكلوري ،أما مكانة الشاعر وسط المجتمع الصحراوي التيديكلي ، تحمل نفس التصور الذي كان عند العرب قديما تقريبا .

هـ مكانة الشاعـر الشعبـي في المنطقـة :

شاع في منطقة "تديكلت" الشعر الشعبي، الذي كان وسيلة أساسية في نقل التراث الفلكلوري ، مما أعطى للشعراء منزلة خاصة في المجتمع ، تركز بروز الشعراء في المناسبات الدينية كالأعياد والزيارات ، والإجتماعية كالأعراس والختان ...الخ ، أمَا أشعارهم فقد تضمنت قصائد تمجد الإسلام والأخلاق الحميدة

[1] عبد الله الفَيفي، ما موقع الشعر من عالم اليوم ؟، جامعة الملك سعود، نشر في مجلة آفاق علمية ،المركز الجامعي تمنراست – الجزائر، العدد الرابع 4، جوان 2010م ، ص26.

وتنبذ الرذيلة ، ومنها ما يروي أحداث وأمجاد تعود لفترة زمنية ماضية ، كما كان من الشعراء من ركز على الأحداث الوطنية فسخر قلمه لذلك داعياً لحب الوطن والدفاع عنه ضدَ المستعمر تارةً ، ومخلداً للشهداء والعلماء تارةً أخرى .

ومن الشعراء الذين عرفتهم المنطقة نذكر- حسب التسلسل الزمني لظهورهم وبذكر انتماءاتهم: [1]

- " مولاي عبد الله بمنطقة "الهبلة "عاش في القرن الثالث عشر هجري.
- "ولد سيدي الحاج بمنطقة "أقبلي" عاش في القرن الثالث عشر هجري.
- "السي أحميد بمنطقة "اينبلبال" عاش في القرن الثالث عشر هجري.
- "قدور الشين بمنطقة "أقبلي" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "ولد بخالد بـ"عين صالح" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "أبابا الشاوش بـ"عين صالح" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "عبد النبي حماض بوتقي بـ"إينغر" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "لالة سيد أحمد بـ"عين صالح" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "عبد القادر بن دحمان"عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "التومي الحاج سعيدان" بـ"عين صالح" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "القراوي عبد القادر" بـ"عين صالح" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "التالي محمد بن قدور" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "الفرح محمد"بـ"أولف" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "ولد التاقة" بـ"إيقسطن" عاش في القرن الرابع عشر هجري.
- "السي بحوص الزاوي" بـ"أولف" عاش في القرن الرابع عشر هجري.

[1] التومي الحاج سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس، مصدر سابق ، ص 102.

أما شعراء اللغة العربية الفصحى: هم قليلون و البعض منهم مجهولين ، إلا اللذين عاشوا في القرن الرابع عشر هجري هم:

- "بن مالك حمزة بن الحاج أحمد " في القرن عشرين ميلادي.
- "الشيخ السكوتي الحاج محمد عبد الرحمان" في القرن عشرين ميلادي.
- "الشيخ بلعالم الحاج عبد القادر" في القرن عشرين ميلادي.
- "الشيخ محمد باي بن عبد القادر" في القرن عشرين ميلادي." ، ويشير هذا الاهتمام بالشعراء ، إلى القيمة الحضارية التي يمتلكها الشعر الشعبي في المنطقة، لأنه يخلد مآثر السكان وتاريخهم ، ويعبر عن إتجاهات الشعراء ومشاعرهم بصراحة وصفاء.

بفضل المواسم الدينية والثقافية إزدهر المخزون الثقافي و الإبداعي ، وكذا التراثي لمنطقة "تديكلت"، وهو ما صنفها ضمن المناطق الحضارية الهامة في الصحراء ، ودفع الأجيال إلى تناقل هذا الإرث، وهذا ما أنجب علماء وشعراء وأدباء، نقلوا صداه إلى باقي المناطق.

د ـ الزوايا العلمية والطرق الصوفية :

تعد الزوايا والمدارس القرآنية منارة من منارات الإسلام ، التي يتم فيها تعليم القرآن الكريم ، ومختلف العلوم الدينية التي لا تكاد تنفصل عنه ، وقد تفرغ لهذه المهمة النبيلة ثلّة من الرجال الربانين ، الراغبين في سلعة الله الغالية (الجنة) ، فقدَموا للمجتمع أبطال فطناء ، أمام أي غزو فكري أو عسكري ، وعملوا على محاربة التجهيل الذي مارسه الاستعمار الفرنسي الذي فتح الباب للتبشير وتلويث الفكر الديني ، ودعم نشر البدع والخرافات ، والسحر ، الشعوذة ، ونسبوها للإسلام.

تنوعت الزوايا في منطقة "تديكلت" كما هو الحال في منطقة "توات" ، فكانت منها[1]:

أ) الزوايا العلمية: التي أقيمت لتعليم الناس أمور دينهم ، واستقبال الطلبة من خارج المدينة والتكفل بإيوائهم وإطعامهم ، وغالباً ما تعتمد على التبرعات الخيرية من أفراد المجتمع ، وقد كانت هذه الزوايا قرينة المدارس القرآنية، التي تعمل على تعليم الصبيان وتربيتهم التربية الإسلامية ،وكان دورها الأساسي تحفيظ القرآن الكريم.

كان عمل معلمي القرآن في منطقة "تديكلت" في كل أقاليمها ، مضبوطا حسب الصلوات الخمس ، حيث يبدأ تدريس القرآن الكريم من بعد صلاة الصبح إلى غاية الساعة الحادية عشر ، أما الفترة المسائية تبدأ بعد صلاة الظهر وتستمر إلى وقت صلاة العصر ، ليتجه معلم القرآن وطلبته مباشرة نحو المسجد للصلاة ، وبعد صلاة المغرب يجتمع التلاميذ لقراءة حزبين (عمَ و سبَح) و متن من المتون التعليمية أو التربوية [2]

وما ميز ثقافة هذا المجتمع هو تكاتف أفراده ، من أجل توفير متطلبات هاته الأماكن التعليمية ، التي خصصت لحفظ القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و دراسة مختلف العلوم المرتبطة بالدين الإسلامي، ومن هاته الوقفات نجد أنه بحلول فصل الشتاء، يتوزع التلاميذ على الأحياء لجلب عود من الحطب، ويقفون أمام كل باب يرددون كلمة : " عود عود يا أولاد "[3] ، ويعودون إلى المدرسة لاستعماله في التدفئة ، وعندما يرفع أذان صلاة العشاء ، يتفرق الجمع للعودة إلى بيوتهم وهم يرددون : " اللهم صلي وسلم على ، حبيبنا محمد عليه الصلاة ، صلاة تدوم بطول الزمان، بسور البقرة وآل عمران ، وطه ويس ونون و القلم "[4] ، وعندما يصل كل واحد إلى بيته يختم بهذا التضرع : " الله يارحمان

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، قراءة في كتابه سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، حي القصبة ، 02 – 10 – 2012م، من الساعة 09:00 صباحا إلى 13:00ظهرا.

[2] التومي الحاج سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، مصدر سابق ، ص 81.

[3] التومي الحاج سعيدان ،المصدر نفسه ، ص81 .

[4] التومي الحاج سعيدان ،المصدر نفسه ، ص 82.

لاتفضحنا سراً ولا جهراً ، ولا تحرمنا أنت المغيث ياربنا فأغثنا ولا تحاسبنا بما فعلنا " أما الشيخ فيتوجه إلى المسجد لأداء صلاة العشاء.

ب) الزوايا الخيرية : هي عبارة عن مباني أقيمت لاستقبال الضيوف وابن السبيل والعابرين بالمنطقة ، حيث يوفر لهم المأوى والمشرب والمأكل والأغطية ، ويستطيع العابر أن يقيم بها ما شاء من الزمن .

ت) الزوايا الصوفية : وهي عبارة عن معاقل لأتباع الطرق الصوفية ، يجتمعون فيها ويرددون فيها أورادهم وأذكارهم ، ويمارسون فيها طقوسهم ، إلا أنها غير مترسخة في منطقة "عين صالح" بشكل كبير.

الطرق الصوفية :

إضافة لتعليم القرآن الكريم عرفت منطقة "تديكلت" مجموعة من الطرق الصوفية التي تعني :

الطرق : وهي مجموع طريقة ، يقصد بها : " عهد بين المريد وشيخه على إلتزام الذكر (الورد) وآداب مخصوصة للتطهير الباطني ومعرفة الله "[1] فالطريقة إذن نهج في التربية .

الصوفية : نسبة إلى الصوفي ، الذي قيل عنه : " هو من لبس الصوَف على الصفا وأطعم البطن إطعام الجفاء ، وترك الدنيا خلف القفا ، وسلك سبيل المصطفى صلى الله عليه وسلم "[2] والصوفية تعد درجة من درجات الزهد ، ويصنف كل صوفي على أنه زاهد ، ولا يعد كل زاهد صوفي ، كما أن الصوفية استبعدوا العقل كأداة للوصول للمعرفة الحقة .

والطرق الصوفية مجتمعة تفرعت عن أربع طرق أساسية[3] :

---

[1] محمد بن بريكة ، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان ، الكتاب الأول ،ط1، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع، الجزائر، 1427هـ، 2006م، ص 294.

[2] محمد بن بريكة ، المرجع نفسه ، ص 49.

[3] ينظر محمد بن بريكة ، المرجع السابق ، ص 298 – ص297.

1- الطريقة القادرية : مؤسسها عبد القادر الجيلاني العراقي ، وهي أول طريقة انتشرت في بلاد الإسلام ، ولا تخلو بيئة صوفية إلى اليوم من الطريقة الأم أوفروعها.

2- الطريقة التجانية : نسبة إلى أبي العباس أحمد التجاني الجزائري.

3- الطريقة الشاذلية : بجميع فروعها كالدرقاوية والهبرية والطَيبية والعلاوية إلخ... ونسبتها إلى أبي الحسن الشاذلي ، ويعود فضل انتشارها إلى ابن عطاء الله السكندري صاحب (الحكم).

4- الطريقة النَقشبندية : نسبة إلى ضياء الدين خالد النَقشبندي ، ولقبه هذا مشتق من نقش بندر ؛ أي ربط النَقش ومعناه انطباع الذكر في القلب دون محو.

والطرق الصوفية في "تديكلت" عددها سبعة :

القادرية ، التَجانية ، الطيبية ، السنوسية ، أولاد سيدي الشيخ ، أهل اليقونة عبد الصادق (الصادقية) والرقانية[1] . وغالباً ما ارتبطت هذه الطرق بالزوايا التي يرجع تأسيسها إلى عدد من الصالحين منهم العلماء ، ومنهم مشايخ للطرق الصوفية ، ومنهم من كان مصلحاً يصلح ذات البين؛ أصلهم من ذرية فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الأمر الذي جعل أهالي المنطقة يبنون لهم الأضرحة كما حدث في مختلف الأمصار العربية ، ويطلقون عليها إسم:"الروضة" أو "المقام" حتى لا تنسى أعمالهم الخيرية [2]، كما تقام لهم مواسم خاصة تدعى (الزيارة) ، وبذلك تعد الزوايا معلماً بارزاً في حياة المجتمع المحلي، لما تؤديه من أدوار تنسجم مع خصوصياته كإيواء عابري السبيل ، وتهذيب السلوك ، وتعليم الأفراد . وقد جاء عن الشيخ العلامة : أحمد باي رحمه الله في حديثه عن الزوايا : [3]

أما الزوايا فهي ركن يبنى كدير أو صومعة في المبنى
وفي شمـال القـارة السمراء ينمـــــى لما خص بالأولياء

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الاتكال على النفس ، المصدر السابق ، ص83.
[2] التومي الحاج سعيدان ، المصدرنفسه ، ص82.
[3] بلعالم محمد باي ، قبيلة فلان في الماضي الحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر ، دار هومة ، الجزائر ، 2004م ، ص 290.

وقيل اسـم لبناء قد جمـع مدرســة وغرفـــا لها تبع
فيجد الطالب فيها مثــوى وهـــي للضيوف أيضا مأوى
فهي على الجملة دار الدين ومنــزل للضيف دون ميــن
وهي في الشرق تسمى بالرباط وكـــل منشا يعـــد للنشــاط
وعرفت في صدر ثامن القرون بأنها المسجد والحرز المصون
فيهـا المرافــق لكــل طالـــب وهـــي الحماية لكــل هارب
فهــي دار الصلــح والملائمــة وهـــي دار الخير والمسالمة.

و بهذه الأبيات التي نظمها الشيخ محمد باي بلعالم ، يكون قد قرب إلينا صورة الزوايا ، وجسدها لنا ببراعة شرحه لكل حيثياتها.

الفصل الأول

الفصل الأول: مفاهيم في المباحث الأساسية للتداولية:

إن الميزة الأساسية التي لطالما عُرِفا بها العلم و المعرفة ، هي عدم الثبات واستمرارية التطور، و لأن العلم و المعرفة مبنيان أساسا على التنظير، فهما في تغير دائم ، وهذا راجع إلى عوامل عدة من بينها: اختلاف زوايا النظر بالنسبة للمنظرين والباحثين ، لاختلاف خلفياتهم الابستمولوجية ، وهذا ما ساهم في تعدد المناهج و تعدد النظريات ، وكثيرا ما نجد هاته النظريات و المناهج تنشأ كردٍّ على منهج آخر، أونظرية ما ، فتنتقدها في بعض جوانبها ، وتحاول عرض طرحٍ آخر يكون الأنسب في نظرها ، أو ربما تظهر أخرى لتوفق بين النظريتين ... وهكذا ... ، لكن يبقى المنطق هو صاحب الفصل في ذلك ، فما كان موضوعيا يوافق العقل و المنطق ، فهو الأصح غالبا، ما لم يأتِ ما يثبت عكس ذلك .

لقد نشطت حركة المناهج النقدية حديثا ، في أغلب المجالات المعرفية ، لتطور علوم العصر وتكنولوجياته ، وما يهمنا في مقامنا هذا من هاته المجالات هو ما ظهر منها في الدرس اللساني ، فلا يختلف اثنان في أن ما ظهر من هاته المناهج لها نفس الهدف وهو دراسة اللغة ، لكن ما لا يتوافقون فيه هو: أولا وسيلة دراسة اللغة ، وثانيا جوانب دراستها، وهذا يعود أساسا لثراء اللغة وتعدد خصائصها ، فكل مجموعة درست اللغة في خاصية من خصائصها حسب تخصصها.

فظهرت دراسات ركزت على الجانب الشكلي للغة (الشكل) ، وأخرى ركزت على الجانب الضمني (المضمون) ودراسات أخرى جمعت بينهما (الشكل و المضمون)، ما زاد من نشاط الحركة العلمية والنقدية على حد سواء ، إلى أن وصلت حديثا إلى الدراسة التداولية للغة ، إذ يرى أنصارها أنها من بين الدراسات التي: "دعت إلى الاهتمام بـ (...) الجانب الاتصالي، لاسيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها ، حيث لا يمكن أن تبقى دراسة اللغة محصورة في

علمي النحو و المعاني ، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ "[1] ومن خلال هذا القول يتضح أن الدراسة التداولية للغة قد اهتمت بعملية التواصل[2]، وصبّت اهتمامها على علاقة اللغة بمستخدميها ، وهذا ما لم تتعمق كثيرا في دراسته المناهج الأخرى ، فكان من نصيب التداولية .

1- مفهوم التداولية:

قبل التطرق إلى مفهوم التداولية ، سنعرض نبذة تاريخية عن مصطلح التداولية:[3]

تاريخيا مصطلح "براكماتيك"pragmatique" ظهر يوم **07 يونيو1438**م ، حين قام "شارل السابع" بإصدار ظهير" pragmatique sanction de bourges" الذي ينص على تنظيم الكنيسة . بعد ذلك سنة **1713م** قام "شارل السادس" بتمديد الظهير الذي يسمح لبنته البكر " Marie Thérèse" تقلّد عرش إمبراطوريةLes Habsbourgs ...، سمي هذا الظهير: "Pragmatique de sanction". كذلك سنة **1830م** ظهير " Pragmatique de sanction" هو الظهير الذي أصدره ملك اسبانيا "فردناند السابع" يوم **29 مارس 1830م** لتنظيم ولاية العهد ...

ومن خلال ما جاء في هذه النبذة، نرى أن مجالات ظهور مصطلح "براكماتيك"، ارتبط منذ البداية بمجال تنظيم الحياة السياسية العامة ، سواء على مستوى استمرارية الدولة أو على مستوى تنظيم الشؤون الدينية وتحديثها، واستمر هذا المصطلح في التداول إلى حدود ستينات القرن العشرين ، حيث أصبح يحيل إلى الدراسات الفلسفية للكلام العادي .

---

[1] خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية –مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم-،ط1، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر2009م، ص44.

[3] بودريس درهمان ، مدخل إلى النظرية التداولية ، مجلة علوم التربية ، المغرب، (د ط) (د ت)، ص113-114.

وعن انتقال هذا المصطلح من مجال التشريع إلى مجال أفعال الكلام، فالأمر في ذلك يعود إلى الفيلسوف الانجليزي "أوستين" Austin"*[1] فهو من استطاع تحويل هذا المصطلح من مصطلح لغوي تشريعي إلى مجال لتشريع أفعال الكلام، " لقد وضع "أوستين" و تلميذه "سورل"* نواة التداولية ، في حقل فلسفة اللغة العادية (ordinaire) إذ طورا من وجهة نظر المنطق التحليلي(Logique analytique)، مفهوم "العمل اللغوي"(Acte de langage) ، (...) حيث كان "أوستين" أول من بعث نظرية الأعمال اللغوية."[2]

أ) المفهوم المعجمـــي:

عند بحثنا في المعاجم العربية القديمة عن مصطلح التداولية ، وجدنا الفعل تداول، المشتق أساسا من الجذر (دول) ، و "دول: تداوُل القوم الشيء (بينهم) ، إذا صار من بعضهم إلى بعض".[3] وهذا المفهوم الوارد عند ابن فارس هو قريب جدا إلى ما ترمي إليه التداولية كدراسة ، فهي تهتم بدراسة علاقة اللغة بمستخدميها، أي بتداولها بينهم ... والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ بين طرفين متحدثين.

---

* Austin: جون لانكسو أوستين John langchow (1911-1961م) شغل منصب أستاذ فلسفة في جامعة أكسفورد ، حاضرَ بعدة جامعات انجليزية و أمريكية ، لم يسبق له أن ألّف أي كتاب ، فقط نشر بعض المقالات و بالترجمة لعمل من أعمال فريج ، بعد وفاته عام 1960م وهو لم يبلغ من العمر آنذاك 48 سنة ، قام طلبته بتجميع مقالاته و محاضراته و نشروها مع مجموعة من الملاحظات في ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول نشر بعد سنة من وفاته 1961م بعنوان " أوراق فلسفية" ، الجزء الثاني بعنوان " المعنى والإحساس"نشر سنة 1962م ، والجزء الثالث بعنوان " كيف تصنع الأشياء بالكلمات " نشر سنة 1970م. اختار أوستين الكلام العادي كموضوع للبحث و الدراسة ، وكان لديه إحساس بأن المجتمع برمته يحاول بناء منظومات ، ويحاول حل بعض القضايا العالقة ، لكن دون أن يعرف بالضبط ما هي هذه القضايا العالقة ، لهذه الأسباب يتهجم أوستين على المحللين بشكل عام و يتهمهم بأنهم لم يتفحصوا بما فيه الكفاية التراكم المعرفي المتعلق بالقضايا و الأحداث قبل البحث عن الحلول الممكنة .الشيء الذي رسخ عند أوستين هذه القناعة هو عدد الأوهام و الأحكام الجاهزة التي انبنت عليها الفلسفة بشكل عام ، فهي تعيق إيجاد الحلول المناسبة ، وتقوم بتضليل طريق البحث و هو الأخطر .
اهتم أوستين أساسا بمعرفة طبيعة فعل اللغة ومعرفة كل ما يمكن أن نحققه بواسطة اللغة لكي نستطيع فيما بعد فهم بعضنا البعض. (بودريس درهمان ، نفس المرجع ، ص 114 – 115).

* سورل: ولد عام 1932م، كان أستاذا بجامعة بركلي(Berkeley) بكاليفورنيا.

[2] فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ،تر: صابر حباشة ، ط1، دار الحوارللنشر و التوزيع سورية ،2007م ،ص18.

[3] أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة،تح: عبد السلام محمد هارون، ج2،باب (دول) ، (د.ط) ، دار الفكر للنشر،1399هـ-1979م، ، ص314.

وفي معجم مجمل اللغة لابن فارس ورد: "(دَوَلَ) الدَّال والْواو واللَّام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء.

أما الأول فقال أَهْلُ اللُّغَةِ: إِنْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا".[1] وما ورد في هذا التعريف عن الفعل تداول ، هو نفس ما ذكره المؤلف في كتابه مقاييس اللغة، إلا أننا نجده قد فصل بين معنيين لأصل "دول" ، حين ذكر أنه يدل على ضعف واسترخاء، وما يهمنا نحن من هذا التعريف هو المعنى الأول.

وجاء أيضا في كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، مفهوم لمفردة دول يقول: "(د ول) : تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ تَدَاوُلًا وَهُوَ حُصُولُهُ فِي يَدِ هَذَا تَارَةً وَفِي يَدِ هَذَا أُخْرَى وَالِاسْمُ الدَّوْلَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَضَمِّهَا وَجَمْعُ الْمَفْتُوحِ دِوَلٌ بِالْكَسْرِ مِثْلُ: قَصْعَةٍ وَقِصَعٍ وَجَمْعُ الْمَضْمُومِ دُوَلٌ بِالضَّمِّ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ الدُّولَةُ بِالضَّمِّ فِي الْمَالِ وَبِالْفَتْحِ فِي الْحَرْبِ وَدَالَتْ الْأَيَّامُ تَدُولُ مِثْلُ: دَارَتْ تَدُورُ وَزْنًا وَمَعْنًى".[2]

أما في اللسان لابن منظور فقد وجدنا مصطلح تداول في غير موضعه ، فقد ورد في باب النون ، مع الجذر نسخ وتناسخ ،"والأَشياء تَناسَخ: تَداوَل فَيَكُونُ بَعْضُهَا مَكَانَ بَعْضٍ كالدوَل والمُلْك؛"[3]

أما عند بحثنا في باب الدال وتحديدا باب الدال المهملة، وجدنا مفردة دواليك ، التي تعني التداول ، وهو أخذ الأمر بين طرفين ، تارة عند هذا وتارة عند ذاك ، وهو لا يختلف عن المفهوم الأصلي الذي ورد في المصادر الأخرى.

---

[1] أحمد بن فارس ، مجمل اللغة، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، ج1،باب (الدال والواو وما يثلثهما)، ط2، مؤسسة الرسالة –بيروت ،1406هـ،1986م، ، ص340.

[2] أحمد الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج1، المكتبة العلمية للنشر– بيروت ،ص203.

[3] محمد ابن منظور ، لسان العرب، ج3،فصل النون ، ط3،دار صادر ، بيروت، 1414هـ، ص61.

يقول: "ودَوَالَيْك مِنْ تَداوَلوا الأَمر بَيْنَهُمْ يأْخذ هَذَا دَولة وَهَذَا دَولة، وَقَوْلُهُمْ دَوالَيْك أَي تَداوُلًا بَعْدَ تَدَاوُلٍ؛"[1].

ومن خلال التعاريف الواردة في المعاجم العربية ، نجد أن معنى مصطلح التداولية فيها لا يختلف عن معناها الاصطلاحي و العملي .

ب) المفهوم الاصطلاحي :

" التداولية ترجمة للمصطلحين : المصطلح الانجليزي Pragmatics بمعنى هذا المذهب اللغوي التواصلي الجديد...أو المصطلح الفرنسي La pragmatique بنفس المعنى ، وليس ترجمةً لمصطلح Le pragmatism الفرنسي ، لأن هذا الأخير يعني " الفلسفة النفعية الذرائعية" ،أما الأول فيراد به هذا العلم التواصلي الجديد الذي يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية .. ولذلك لا نتفق مع الباحثين العرب الذين ترجموا مصطلح pragmatics _Lapragmatique بـ: الذرائعية أوالذريعية، أو غيرهما من المصطلحات المتحاقلة معهما" 2 . من خلال ما قاله مسعود صحراوي في تعريفه للتداولية نرى أنه يركز على ترجمتها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، إذ نبه ضمن تعريفه لها ، أنه لابد من ضبط ترجمة المصطلح (التداولية)، بالرغم أن المصطلحين (Le pragmatism) و (La pragmatique) متشابهان في التركيب إلى حد ما ، لكنهما مختلفين تماما في المعنى ، فالأول هو مجال دراستنا، و الثاني هو مجال دراسة أخرى تدخل في مجال الفلسفة.

تعريف آخر يقول :" أقدم تعريف للتداولية نجده عند شارل موريس 1938م ، وهو تعريف واسع يجعل التداولية جزءا من السيميائيات ، وتهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعمليها"[3] ويضيف: "يرى "فرانسوا ريكانتي"

---

[1] محمد ابن منظور ،المرجع السابق ،ج11، فصل الدال المهملة ،ص253.

[2] مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي اللساني ،ط1، دار الطليعة، بيروت ،يوليو2005م. ص15.

[3] علي آيت أوشان ،السباق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ،ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء المغرب ، 2000م، ص 55.

بأن التداولية جزء من دراسة استعمال اللغة في الخطاب ، و الآثار الخاصة في اللغة والتي تشهد على مقدرتها الخطابية "[1] ، هذا التعريف يشير إلى أن التداولية كانت محط اهتمام الدارسين اللغويين،عندما يذكر أول تعريف لها قدمه موريس في ثلاثينيات القرن العشرين، وربما هو إشارة إلى أن هذا المنهج حديث النشأة ، اهتم به اللغويون ، لأنه يعنى بجانب أساسي في اللغة وهو الخطاب أو التخاطب.

وبعض التعريفات نجدها تركز على محاولة تصحيح الاعتقاد الخاطيء ، الذي يصنف التداولية على أنها علم لغوي محض بالمعنى التقليدي كما يقول مسعود صحراوي: "..التداولية ليست علما لغويا محضا ..بالمعنى التقليدي ، علمٌ يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية و يتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة ، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره " "[2] وهذا القول يشير إلى أن التداولية لا تقتصر على الوصف أو التفسير للبنى اللغوية وأشكالها الظاهرة فقط، وإنما هو علم يدرس ظاهرة التواصل بكل حيثياتها.

و يقول محمد صلاح الدين الشريف في كتابه* عن التداولية " يوجد تيار ناتج عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين و متداخلين في الآن نفسه ، تيار ينبع من أطروحات فلسفية و منطقية مختلفة ، يمكن جمعها تحت عنوان " الفلسفة اللغوية" ، ... وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب ، ويجتمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة و المناطقة و علماء النفس ، نضعه تحت عنوان هام هو " الأطروحات البراغماتية"[3] هنا يجب التوضيح أن البراغماتية التي يشير إليها الكاتب، ليست ترجمة للمصطلح (Le pragmatism) وهو النفعية أو الذرائعية ، وإنما هي ترجمة للمصطلح (La pragmatique) وهي التداولية، التي يمكن القول أنها المنهج الذي أخذ عن الفلسفة منهجها في الوصول إلى الحقائق (الحجاج..)وعن

---

[1] علي آيت أوشان ، المرجع السابق ، ص55.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ،المرجع السابق ، ص 16.

* : الشرط و الإنشاء النحوي للكون ،ج1 ، كلية الآداب بمنوبة، تونس، 2002 ، ص 211.

[3] صابر الحباشة ، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص ، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق 2008م، ص7.

المناطقة المنطق الذي يشترطه العقل سواء من ناحية الدراسة أومن ناحية محتوى المادة المدروسة (اللغة المستعملة في التواصل) التي تقتضي المنطق، وعن اللغة مادتها للتواصل ، وعن علم النفس دليله لكشف مكنونات المتخاطبين، وهنا تكون التداولية قد جمعت بين مختلف المجالات في دراستها للتواصل.

ونجد للتداولية تسميات أخرى إذ هناك من يطلق عليها علم التخاطب: "pragmatics دراسة كيف يكون للقولات معانٍ في المقامات التخاطبية. وهو بذلك يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقا للوضع فقط ، وبمعزل عن السياق ، والمقامات التخاطبية"[1] ، هذا التعريف يحاول أن يفصل بين علم الدلالة وعلم التخاطب، فعلم الدلالة يدرس المعاني وفقا للوضع فقط، وعلم التخاطب جاء ليهتم بما أهملته المجالات الأخرى في دراستها لعلم التخاطب.

تعرف التداولية عموما كما يلي: " هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية (...)، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التعابير الرمزية والسياقات المرجعية و المقامية و الحدثية البشرية "[2]

من خلال هذا القول لـ بلانشيه و التعاريف السابقة نستنتج أن التداولية لا تدرس اللغة مجردة ، وإنما تدرسها في حيز الاستعمال ، و هي بذلك تدرس الوظيفة التي تؤديها اللغة ، وذلك بالاستعانة بكل ما يحيط بظروف إنتاج اللغة كالسياق و المقام ...الخ." لا سيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها ... والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ".

عندما ظهرت التداولية كمنهج جديد للدراسة و البحث ، تجاذبتها مختلف العلوم التي تعنى بدراسة اللغة ، لتضمها تحت لواءها - باعتبار أن التداولية تدرس اللغة أيضا في مستوى من مستوياتها ، وهو التواصل- فرأى كل فريق أنه الأحق بضمها إلى حقل دراسته، نظرا لتداخلها معه في بعض جوانب الدراسة ، ومن بين هذه العلوم علم الدلالة الذي يتداخل معها في دراسة المعنى ، وعلم تحليل الخطاب الذي

---

[1] محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت – لبنان، 2004م، ص13.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر حباشة ، مرجع سابق ، ص 20.

يشترك معها في الاهتمام بالوظيفة التواصلية للغة ، وعلم النفس اللغوي والاجتماعي في مراعاة ظروف المخاطَب النفسية والاجتماعية ، وغيرها ..، فارتأى بعض الدارسين المهتمين بها ، أن يضعوا حلا يبين الفاصل بينها وبين هاته العلوم ، وذلك بتحديد ما تتميز به التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي.

ت) مميزات التداولية :

تتميز التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي بما يأتي:[1]

1- التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي ، أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي ، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي والاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.

2 - ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها ، ولا موضوعات مترابطة.

3- التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية ، واجتماعية ،وثقافية).

4- تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية.

ث) فروع التداولية:

بعد ظهور التداولية كمصطلح لغوي لساني ،والمنهج التداولي كمنهج حديث ، أقبل الباحثون و كذا الدارسون على هذا المنهج ، بحكم السعي وراء كل ما هو جديد، فاختار كل باحث - بناءا على ما يراه أنسب من النصوص ليتلائم مع هذا المنهج - مادته اللغوية التي ستكون مجالا لتطبيق الدراسة التداولية عليها ، فمنهم من اختار الكلام العادي الذي يدور بين المتكلمين في حياتهم اليومية ، واختار بعضهم مجال الصحافة ، والبعض الآخر المحاماة ، وغيرهم النصوص الأدبية نثرا أو شعرا ..الخ، وتبين لكل منهم أنه لابد من الابتعاد عن الإطار العام في الدراسة، وضرورة التخصص أكثر، حتى يكون لكل مجال من المجالات السابقة، الدراسة

[1] نحلة محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر ، 2002م، ص15.

التداولية الخاصة ، المرتبطة بميدان التطبيق ، والتي تتحدد بما يرغب الدارس في التركيز عليه ، وكذا طبيعة النص المدروس.

وكحل لهذا الإشكال انقسمت التداولية إلى عدة فروع ، يذكر الأستاذ محمود نحلة أربعة منها في كتابه[1] :

-1 التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق

الاجتماعي.

-2التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.

-3التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

-4 التداولية العامة: وهي التي تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً.

وبما أن التداولية - كما سبق الذكر- من ميزاتها أنها تتقاطع مع مختلف مجالات العلوم ذات الصلة باللغة ، فإن التداولية تميزت عنها بأنها تدرس اللغة ، من وجهة وظيفية عامة معرفية، واجتماعية ،وثقافية ...، وهذا ما يعني أن لها القابلية بأن تتفرع أكثر، وتأخذ أشكالا أخرى حسب تعدد وظائف اللغة المدروسة ، لكن بعض العلماء اللسانيين التداوليين من بينهم "أوستين" ، و"سورل"، قالوا بأن المقاربة التداولية يجب أن تقتصر فقط على اللغة العادية ، واعتبروا أن تطبيق المقاربة التداولية على لغة النصوص الأدبية أمر معقد .

لكن رأى بعضهم أنه من الممكن أن نطبق المقاربة التداولية على الخطابات الأدبية، من وجهة دراسة الوظائف الأخرى للغة الأدبية خاصة الشعرية ، ومن بينهم محمد مفتاح الذي يقول: " النص الشعري ليس لعب ألفاظ ، وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، وإنما يهدف فوق ذلك كله ، إلى الحث و التحريض ، وبهذا المفهوم الأخير تشمله نظرية (الكلام فعل) أوالتداولية."[2].

وبناءا على الرأي الأخير ، يمكننا إذا الاعتماد على المقاربة التداولية في شكل من أشكالها ، وهي التداولية الإبداعية ، مادام (الشعر) هو الخطاب الذي سنطبق عليه

---

[1] نحلة محمود أحمد ، المرجع السابق ، ص14.

[2] محمد مفتاح ، في سيمياء الشعر القديم ، دراسة نظرية و تطبيقية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء-المغرب ،1409هـ، 1989م.

المقاربة، ويمكن أن نستند إلى ما قاله أحمد مندور كوجهة نظر داعمة للدراسة :" أنه من الضروري بمكان دراسة النص الأدبي باعتباره تلفظا سياقيا، وملفوظا حجاجيا لغويا من الداخل، وينبغي كذلك الانتقال من المعاني الحرفية إلى المعاني المجازية تأويلا واستكشافا وتشريحا "[1].

من حيث أننا قد اخترنا ديوان الشاعر التومي سعيدان رحمه الله تعالى، محاولين الوقوف على الاستراتيجيات التي اختارها لتدعم خطابه .

2- مفهوم الخطاب:

إن من أبرز الصعوبات التي لطالما واجهها الباحثون قديما ، ولا زالوا يواجهونها هي إشكالية المصطلح ، وتعدد مفاهيمه التي جاءت تبعا لتعدد اتجاهات أصحابه واختلاف مشاربهم ، كما أنه باتساع جغرافية البحث العلمي، واتساع دائرة المعرفة، وتمازج الثقافات فيما بينها ،أصبح استخدام المصطلح وكذا توحيده أمرا ملحا ، بل وضروريا حتى يحصل التوافق و التواصل و تبادل المعارف بين المشتغلين في مجال البحث العلمي في كل بقاع الأرض ، فالمصطلح على حد قول "عبد القادر شرشار" "ألفباء العلم ، كل علم ، و أي علم كان"[2] ، وهذا ما يؤكد أهمية المصطلح و ضرورة استخدامه في كل العلوم.

ويعد مصطلح الخطاب من المصطلحات الأكثر رواجا ، و الأكثر استعمالا في حقل الدراسات اللسانية ، و هذا ما تؤكده "سارة ميلز" بقولها : " لقد أصبح مصطلح الخطاب متداولا في مجالات عديدة منها نظرية النقد و علم الاجتماع والألسنية والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي و الكثير من حقول المعرفة الأخرى"[3] ، ومن خلال قولها يتضح أنه لا يمكن لأي دارس أو باحث أن يخوض في بحث لغوي لساني ، دون أن يفرد لهذا المصطلح قسما يعرج فيه على مفهوم الخطاب ، ناهيك عن الحقول العلمية الأخرى.

---

[1] جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب و النقد ، مقال ، شبكة الانترنت ، بتاريخ 6 يناير 2012م.الرابط: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article31163

[2] عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ،(د ط)، دمشق منشورات اتحاد الكتاب العرب ،2006م ،ص08.

[3] ميلز، سارة، الخطاب، ترجمة: يوسف بغول،(د ط)، مطبعة البعث، قسنطينة ، 2004 م، ص 01.

أ- المفهوم العام (لغوي و اصطلاحي) للخطاب في التراث العربي:

قبل التطرق إلى مفهوم الخطاب الوارد في المعاجم العربية ، نذكر مواضع ذكر فيها الخطاب في سور من القرآن الكريم : يقول الله عز وجل في كتابه العزيز:

بسم الله الرحمان الرحيم "و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" [الفرقان63].

وقوله سبحانه وتعالى: "و لا تخاطبني في الذين ظلموا " [هود 37].

وقوله سبحانه وتعالى: " و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب " [ص20].

قوله سبحانه وتعالى:" رب السماوات و الأرض و ما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا " [النبأ37].

قوله سبحانه وتعالى: " فقال أكفلنيها و عزني في الخطاب " [ص 23].

وقوله سبحانه وتعالى: "لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون " [المؤمنون 27]

بالعودة إلى السياق الذي ورد فيه مصطلح الخطاب في القرآن الكريم، نجده يحيل على الكلام، وهذا ما تؤكده تفسيرات القدماء و المحدثين للآيات . فالزمخشري يورد تفسيرا لقوله تعالى " و شددنا ملكه وآتيناه الحكمة و فصل الخطاب " بقوله " : إنه الكلام المبين الدال على المقصود بلا التباس" [1].ومن هذا نتبين أن الخطاب حسب تفسير الزمخشري أنه الكلام .

أما فيما جاء في تعريف مصطلح الخطاب المشتق من مادة (خ ط ب) في المعاجم العربية ، أشرنا إلى ما جاء في اللسان لابن منظور في مادة (خطب) " الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا ، وهما يتخاطبان ..والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك و المشاركة في فعلٍ ذي شأن"[2]

---

[1] الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .تح: و تع: محمد مرسي عامر .مج 5-6 ، (د ط)، دار المصح، القاهرة (د ت)، ص. 80

[2] محمد ابن منظور، لسان العرب، ج2 ، مادة (خ ط ب) ،ط3، دار المعارف ، مصر، ،(د ت) .

ومن خلال هذا التعريف الذي ورد في لسان العرب فهو عند ابن منظور الكلام في حال معينة وهي مراجعة الكلام ، ما يقتضي وجود طرفين حتى تتم مراجعة الكلام بينهما ، أو وجود طرف يتكلم (مخاطِب) ، وطرف آخر يستمع إليه (مُخاطَب) ، وهذا يعني ضرورة التفاعل في الخطاب.

وقد جاء في اللسان أيضا تفسير " فصل الخطاب" في الآية[20 من سورة ص] " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" هو أن يحكم بالبينة و اليمين ، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ...و قيل ...بمعنى الفقه في القضاء "[1]

و في أمهات الكتب الأخرى وجدنا تعريفا للخطاب في أساس البلاغة للزمخشري " خطب : خاطبه أحسن الخطاب ، وهو المواجهة بالكلام ... واختطب القوم فلانا أي دعوه إلى أن يخطب إليهم ...وتقول له : أنت الأخطب ، البين الخطبة "[2] فالخطاب حسب ما عرفه الزمخشري هو البيان و الوضوح ، إذ جعل الأخطب هو البين الخطبة ، الذي لا نجد في كلامه غموضا أو التباسا ، يمنع فهم كلامه الموجه لمن يخاطبه .

أما الآمدي فيعرف الخطاب أنه " اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام من هو متهيّء لفهمه"[3] فالآمدي يركز في تعريفه للخطاب على ثلاثة جوانب إذا توفرت في الملفوظ يمكن أن نسميه خطابا هي :أن يكون لفظا متواضعا عليه ويقصد بذلك أنه لفظ مفهوم متداول يحمل دلالة معينة متواضع عليها في مجتمع ما. وأن يتدخل قصد المخاطِب الذي يرجى من ذلك الخطاب ،وهو أن يفهمه المخاطَب ، وكذلك يتدخل شرط آخر لا بد أن يتوفر في المخاطَب وهو تهيّئه أو قد يراد به مدى استعداده لفهم الخطاب.

و جاء في "التفسير الكبير" للرازي أن (فصل الخطاب) الواردة في الآية 20 من سورة (ص) "أنه القدرة على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ، و يحضر

---

[1] محمد ابن منظور ، المرجع السابق ،مادة (خ ط ب).
[2] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خ ط ب) ، ط1، بيروت1992م ، ص 168،167.
[3] سيد الدين علي الآمدي ، الأحكام في أصول الأحكام، تح أحمد محمد شاكر،ج1 ،ط1 ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت 1980م،ص 136.

في الخيال ، بحيث لا يختلط شيء بشيء ، ينفصل كل مقام عن مقام"[1] وفي هذا التفسير إشارة إلى أن الناس مختلفون ، فهم لا يملكون نفس قدرات الكلام والتعبير عن أفكارهم ومخاطبة الغير، وفصل الخطاب هو مما آتاه الله عزّ و جلّ لعبده داود عليه السلام .

و في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" تحدث السيوطي عن وجه مخاطبات النص القرآني، التي رأى أنها تفوق ثلاثين وجها، فمنها ما صنفه على أنه خطاب خاص باعتباره موجها للنبي صلى الله عليه وسلم فقط" يا أيها الرسول بلّغ" [سورة المائدة الآية 67]. ومنها ما هو موجه للعام " الله الذي خلقكم" [سورة الروم الآية 40] ...[2] وغيرها من أوجه الخطاب ، التي تبين أنها مصنفة على أساس صفة المخاطَب،أوحسب مضمون الخطاب .

ومن خلال التعريفات السابقة ، نستنتج أن مصطلح الخطاب ، مرتبط بالكلام أي بالانجاز الشفهي للغة ، إلا أنه يتميز عنه ، كونه يستلزم وجود طرفين متخاطبين : متكلم ومستمع، ويستلزم أيضا شرطي التفاعل و الإفادة ، وهذا ما أشار إليه ابن السبكي في تحديده لمعنى مصطلح الخطاب المستخدم في أبحاث علوم العربية على أنه يحمل معنيين : أحدهما أنه الكلام وهو ما تضمن نسبة إسنادية ، والثاني أنه أخص منه وهو ما وجه من الكلام نحو الغير لإفادته [3].

وهذا بعض ما جاء عن الخطاب في الدرس اللساني في التراث العربي.

ب- مفهوم الخطاب في منظور الغربيين:

رغم ما وصل إليه الغرب من انجازات في الدرس اللساني ، بدءا بما جاء به أبو اللسانيات "فرديناند دي سوسير" إلى يومنا هذا ،إلا أن الإشكالية التي لا تزال مطروحة هي عدم اتفاق الباحثين على تعريف موحد للمصطلحات ، وبالخصوص مصطلح "الخطاب"، فكل باحث يعرفه حسب منهج دراسته له،

---

[1] محمد فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج 26، ط3، دار إحياء التراث العربي ، ص 187-188.

[2] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، النوع الحادي و الخمسون : في وجوه مخاطباته، ج2،ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2003م ، ص 343.

[3] فؤاد بوعلي، مناهج ،تحليل الخطاب، "منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين" الرابط http://egyforums.com

أوحسب زاوية نظره ،أو بناءا على خلفياته المعرفية المترسبة في ذهنه ، لذلك لا نجد تعريفا ثابتا ، مجمعا عليه، لهذا المصطلح الذي تعددت و تنوعت الدراسات عنه.

إذ نجد اللساني الغربي الذي كانت له الريادة ، في استعمال مصطلح الخطاب من خلال بحثه 1952م تحليل الخطاب - هاريس (Harris) يعرف الخطاب أنه : "ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض "[1]، ونجد من خلال التعريف أن هاريس يربط مصطلح الخطاب باللسان مباشرة بتعريفه له على أنه ملفوظ طويل ، وهذا التعريف مبني على أساس شكل الخطاب الذي وصفه أنه متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة .

أما التعريف الذي جاء به الباحث الفرنسي "إميل بنفنست"(E. Benveniste) يقول : " هو كل مقول يفترض متكلما و مستمعا ، و تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"[2] ومن خلال هذا التعريف نرى أن بنفنست بنى تعريفه للخطاب على أساس وظيفي ، حيث اشترط حصول التفاعل بين المتكلم و المستمع بتأثير المتكلم في السامع .

وفي معجم تحليل الخطاب لـ: "باتريك شارودو و دومنيك منغونو" جاء تعريف الخطاب على عدة أوجه ضمن سلسلة من المقابلات الكلاسيكية [3]:

- "الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة " ز.س.هاريس 1952م (خطاب مقابل جملة).
- "الخطاب هو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أوآرائهم في الأشياء" أ.هـ.غاردينار 1989-1932م : 24.(خطاب مقابل

---

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن- السرد- التبئير،ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت،1989م، ص1 .

[2] Emile Benveniste. problémes de linguistique générale. Edition gallimard. 1966. p 241-242.

[3] باتريك شارودو – دومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ، ترجمة: عبد القادر المهيري و صمود حمادي ، منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة تونس 2008م ص 180-181.

لسان). "نسمي خطابا مجموعة ملفوظات تنتمي إلى نفس التشكيل الخطابي" ميشيل فوكو 1969م ب.152.

- "إن إلقاء نظرة على نص من حيث هيكلته في اللسان يجعل منه ملفوظا ، والدراسة اللسانية لظروف إنتاج هذا النص تجعل منه خطابا" غسبان 1971م : 10 (خطاب مقابل ملفوظ).
- "الخطاب يتصور باعتباره إقحاما لنص في مقامه = ظروف إنتاجه وتقبله" آدم 1999م: 39.

ومن خلال ما جاء في هاته التعريفات ، نستنتج أنها مبنية على أساسين الشكل والوظيفة .

وفي تعريف عبد الجليل مرتاض للخطاب يقول" الخطاب لسانيا تناسق وتتابع وحدات أو عناصر لسانية لتبليغ مرسلة تصدر من شخص متكلم نحو ملتقط آخر حاضر أو غائب أو مفترض..."[1] وهنا نتبين أن عبد الجليل مرتاض قد جعل من التتابع و التناسق بين الوحدات اللغوية شرطان أساسيان في الخطاب إلى جانب الشرط الذي يعتبر الصفة الأساسية للخطاب وهو أن يكون مرسلا من طرفٍ، إلى الآخر(الذي لا يشترط حضوره أو غيابه أو افتراضه..).

3- مفهوم الإستراتيجية :

إن استعمال اللغة أمر ضروري لأجل التواصل بين الناس ، فاللغة كما عرفها ابن جني أنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2] ، فلولا ضرورة التواصل لما احتاج الناس لوسيلة لتحقيق و تفعيل الاتصال و التواصل بينهم، و تبادل الأفكار والتعبير عنها بواسطة اللغة المصطلح عليها بين المتصلين.

و قد اهتم الدارسون و الباحثون بهذا الجانب التواصلي لأهميته الكبرى ، وكذا لمّا رأوا جوانبه المختلفة ، التي دعتهم إلى التساؤل و البحث في وظيفة اللغة

---

[1] عبد الجليل مرتاض ، لسانيات النص و التبليغ ،(د ط) ، منشورات دار الأديب ، (د ت)، ص137.
[2] أبو الفتح ابن جني ، الخصائص ، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية 1371هـ - 1952م، ص33.

من خلال دراسة منجزاتها اللفظية في سياقات مختلفة ، واهتموا في هذا الإطار بتحديد فعل التواصل، باعتباره عبارة عن نشاط اجتماعي يتم بين طرفين أوأكثر، أو حتى بين الفرد وذاته .

ونحن من خلال هاته الدراسة ، سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية: كيفية حدوث التواصل ، والتركيز خاصة على الاستراتيجيات الموظفة فيه لإنجاح عملية التواصل والتأثير في الآخر.

وعلى اثر ذكر مصطلح الاستراتيجيات ، لابد لنا من التعريف بهذا المصطلح والإحاطة بمفاهيمه .

أ) مفهوم الإستراتيجية العام:

أول ما ينبغي الإشارة إليه في تعريف مصطلح الإستراتيجية أن هذا المصطلح دخيل على اللغة العربية ، فهو مأخوذ عن المصطلح الأجنبي "Stratigie" ، وهو دخيل أيضا على حقل اللسانيات و تحليل الخطاب ، إذ هو مصطلح في الغالب ما نجده يتعلق بمجالات حربية أو اقتصادية أو سياسية ، لكن مفهومه يصلح للاستعمال في الخطاب ، لذلك سنبدأ بالتعاريف الغربية لمصطلح الإستراتيجية ثم نعرج على مفهوم الإستراتيجية عند العرب .

يرى ميشيل فوكو أن الإستراتيجية في مفهومها تتضمن ثلاثة معان [1]:

الأول هي "العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما" و هنا نجد أن فوكو يشير إلى أهمية العقل في إستراتيجية ما، إذ من خلال هذا التعريف نجد أنه قد أعطى الفضل الأكبر للعقل في تحقيق خطة ما ، وبعدها يأتي التنفيذ الذي يعد تجسيدا لما خطط له العقل سابقا.

[1] أوبير ريفوس و بول ،رانينوف،مشيل فوكو، (مسيرة فلسفية) ، ترجمة : جورج أبي صالح ، مراجعة وشروح مطاع الصفدي ،(دط) ،مركز الإنماء القومي ، بيروت ، دت ، ص200.

والثاني هي " الطريقة التي نحاول بها التأثير على الغير " وهذا التعريف يأخذ بعدا آخر وهو استهداف الغير و كسب تأييدهم و السيطرة عليهم وبذلك يكون الهدف الأساسي من إستراتيجية ما هو التأثير في الآخر.

و الثالث: " للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام " ومن خلال هذا التعريف و التعاريف السابقة التي أشار إليها فوكو نخلص إلى أن الإستراتيجية تعتمد أساسا على العقل .

أما في التعاريف التي جاء بها الدارسون العرب نجد من بينهم في مفهومها العام :" هي علم و فن ينصرفان إلى الخطط و الوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع...من أجل تحقيقي هذه السياسة" [1] فالإستراتيجية بناءا على ما جاء في هذا التعريف هي موهبة باعتبارها فناً، وخبرة باعتبارها علما يكتسب ، يستعمل فيها صاحبها خططا ووسائل تساعده على تحقيق ما يصبو إليه.

وفي تعريف آخر هي" طرق محددة لتناول مشكلة ما ،أو القيام بمهمة من المهمات ، أوهي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة ، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة و التحكم بها "[2] و بهذا فالإستراتيجية كما يراها الشهري، هي طرق مستخدمة للوصول إلى أهداف معينة ، وهي بذلك تعتمد على مستويين ، مستوى تخطيطي وهو ما يتعلق برسم خطة ما ، ومستوى تنفيذي وهو الذي تتجسد فيه تلك الخطة.

وقد أشار إلى ذلك الشهري في قوله:" يتضح لنا أن الإستراتيجية خطة في المقام الأول ...وبما أنها كذلك فهي ذات بعدين : بعد تخطيطي يتحقق في المستوى الذهني ، وبعد مادي يجسد الإستراتيجية لتتبلور فيه فعلا، و يرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل ، فهو الذي يحلل السياق و يخطط لفعله ليختار من الإمكانات ما يضمن له تحقيق أهدافه"[3] ومن خلال هذا الطرح فالفاعل هو الركن الأساس في

---

[1] هيثم الأيوبي و آخرون ، الموسوعة العسكرية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ج1،(د ط)، بيروت ،1981م،ص66.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،2004م.ص53.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه ، ص53.

انجاز العملية أو الخطة ، وهو المتحكم في نجاح أو فشلها بحسب توظيفه للاستراتيجيات الملائمة في السياقات الملائمة أيضا.

أما عن علاقة الإستراتيجية بالخطاب و ارتباطها به فهي تعود إلى الخطاب في كونه عملية تواصلية يقوم بها المرسل بانتقاء الألفاظ و السياقات الملائمة لإنتاج خطابه ، حرصا على إيصال معناه المراد إلى المرسل إليه و التأثير فيه ، و يمكن الاصطلاح على هاته العملية بإستراتيجية الخطاب .

ب) مفهوم إستراتيجية الخطاب:

يمكن وضع مفهوم بسيط لإستراتيجية الخطاب بناءا على مفهوم الإستراتيجية والخطاب السابقين ،و القول أن إستراتيجية الخطاب هي حرص المخاطب على استعمال اللغة استعمالا مدروسا ، يتلاءم مع السياق ويتلاءم أيضا مع الخلفيات المعرفية لكل من المخاطِب والمخاطَب ، لإنجاح عملية الاتصال بين الأطراف المتخاطبة (مرسل – مرسل إليه).

ومن خلال هاته الشروط المذكورة يترتب إذا على المرسل أن يتمتع بالكفاية اللغوية والتداولية ، وهما مصطلحان أتى بهما تشومسكي في دراسته للغة وقال أنهما " معرفة المحادث (المتكلم ، السامع) بلغته "[1] فالكفاية اللغوية عنده هي معرفة المتكلم بقواعد ترتيب الجمل و قدرته على صياغتها صياغة صحيحة .

إلا أن "ديل هايمز" رأى أن هذا المصطلح (الكفاية اللغوية) ضيق المفهوم، واستبدله بمصطلح آخر هو الكفاية الاتصالية وعرفها أنها" مقدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة، لا جمل نحوية "[2] وهكذا يكون هايمز قد ركز على الوظيفة الأساسية للغة وهي الاتصال الذي من أجله يسعى المتكلم لتركيب جمل صحيحة وسليمة لإنجاح عملية التواصل بينه وبين الآخرين .

---

[1] محمد محمد يونس علي،المعنى و ظلال المعنى ،أنظمة الدلالة في العربية ،ط2، دار المدار الإسلامي ، 2007،ص148.

[2] محمد العبد ، النص و الخطاب و الاتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعية،ط1، القاهرة ، 2005م، ص49.

وهذا القول لا يعني لأننا بالكفاية التواصلية يمكننا الاستغناء عن الكفاية اللغوية ، فكل من الكفايتين لها دور أساسي تؤديه لأن "القوانين اللغوية تصف ما يستطيع أن يفعله المرسل و المرسل إليه في لغة معينة ، أما قوانين التواصل فإنها تصف ما يستحسن فعله وتتعامل الاستراتيجيات مع عملية اختيار أفضل الوسائل تأثيرا من السلوكيات التواصلية التبادلية "[1] وبذلك يتضح أن الكفاية اللغوية تختص بسلامة لغة الخطاب ،والأخرى تختص بسلامة استخدام هذا الخطاب في السياقات المناسبة ، ولا يمكن لإحداهما الاستغناء عن الأخرى.

وتساءل اللغويون عن كيفية اكتساب الكفاءة التواصلية عند الإنسان ، فتوصلوا بعد البحث والدراسة إلى أنها تنمو طبيعيا مع نمو الكفاءة اللغوية لديه ، و الدليل على ذلك هو مقدرة الطفل الصغير على انجاز فعل لغوي بكلمة واحدة مثلا في طلبه للماء قوله: ماء ، فهو لم يستعمل كلمة ماء بوصفها دالا يشير به إلى مرجعها المعروف بقدر ما استعملها لينجز فعلا وهو طلب الماء للشرب ، وهو ما يتأوله والداه بكفاءة.[2]

" و الملاحظ أنّ الطفل يمكن أن يكتسب معرفة العلاقة بين الدال (الماء) و المدلول ، كما يكتسب كيفية استعماله لينجز فعلا لغويا معينا بخطابه ، مثل اكتسابه كيفية التأويل لخطابات الآخرين"[3] وهذا يعني أنّ الكفاية التواصلية تنمو وتتطور مع نمو الإنسان وهذا بفضل التكرار الذي به تتكون الملكات.

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته حين تحدث عن اللغة بأنها ملكة صناعية وتحدث خلال ذلك عن اكتساب الملكة فقال:"فالمتكلم ...يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم و كيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم ،واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"[4] وبذلك يكون ابن خلدون قد وضح لنا كيفية اكتساب الملكات ، و كيفية الوصول إلى الكفايتين اللغوية و التواصلية

---

[1] . Haslet B . J , Communication stratégique action in contexte , I pid , p39

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، مرجع سابق،ص60.بتصرف.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،المرجع السابق ، ص60

[4] عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ط1،دار ابن الجوزي للطبع و النشر و التوزيع، القاهرة 2010م، ص506.

وتطويرهما ، فهما الوسيلة التي بها يتمكن المرسل من اختيار الإستراتيجية المناسبة ليوظفها في خطابه للآخر (المخاطب).

ويعرف الشهري إستراتيجية الخطاب أنها: " المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه ،من أجل تنفيذ إرادته ، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي لتحقيق أهدافه، من خلال استعمال العلامات اللغوية و غير اللغوية ، وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل"[1] إذا فحسب ما ذهب إليه الشهري في هذا التعريف فإن أي خطاب هو نتيجة لإستراتيجية معينة ، ولذلك فالخطاب قبل أن ينتجه المرسل و يرسله فهو يمر بخطوات، عدها الشهري ثلاث هي:[2]

1- إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة.
2- تحديد العلاقة بين السياق و العلامة المستعملة ليتم اختيار الإستراتيجية الخطابية الملائمة.
3- التلفظ بالخطاب.

وبذلك فالخطوة الأولى لأي خطاب منتج هي إعمال الذهن لإدراك السياق وبالتالي اختيار الإستراتيجية الملائمة للتواصل مع المخاطَب و التـأثير فيه وإقناعه. ثم اختيار ما يتلاءم مع السياق من علامات بعد تحديد العلاقة بينهما وهو إنتاج الخطاب ، ثم تأتي الخطوة الثالثة وهي التلفظ بالخطاب.

ت) أنواع الاستراتيجيات:

إن تنوع الاستراتيجيات واختلافها هو أمر يعود إلى اختلاف السياقات ، كما أنه أمر مرتبط أساسا بمقاصد المتكلم .

1. **إستراتيجية الحوار :** يعد الحوار هو اللبنة الأساسية التي يبنى عليها التواصل ، وينشأ الحوار و ينمو من تعاضد السؤال و الإخبار (الجواب أو الرد) ، بالتالي يتشكل لدينا نص حواري . كما أن الحوار

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع السابق ، ص 62.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، المرجع نفسه ، ص63.

لا يقتضي بالضرورة حضور طرفين أو أكثر يدور بينهم الحوار، فقد يتحاور الإنسان مع ذاته ، أو مع طرف آخر مفترض (متلقٍ غائب).

ومن الأمور التي تساعد على نمو الحوار هو تضمين إستراتيجية الإفهام بالتمثيل، يقول في ذلك ابن المقفع:" إذا جُعِل الكلام مثلاً ، كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع، وأوسع لشعوبِ الحديث"[1] فمساندة الحوار بالأمثلة ، سيفتح المجال بين المتحاورين لتتوضح الأمور في نظرهم أكثر، وليتآلفوا أكثر و هذا ما سينقلهم إلى مستوى آخر بأن يخوضوا في أحاديث أكثر بصدر رحب .

2. **إستراتيجية الإفهام:** إن أكثر شيء يهدد عملية التواصل الناجح ، هو سوء الفهم الذي قد يحصل بين الأطراف المتخاطبة ، وسوء الفهم هو الذي يؤدي بدوره إلى انقطاع الحوار بينها ، وحتى يتجنب المتخاطبون هاته العثرات ، لابد من إيجاد طريقة تقل بها درجة سوء الفهم وتتسع دائرة الحوار بينهم ، وهي إستراتيجية تتضمن آليات

كالإفهام بالتقعيد: التواصل بين طرفين متخاطبين يحتاج إلى التعامل بشيفرة معروفة لكليهما ، كما يحتاج منهما أيضا إلى معرفة القواعد المرتبطة باللغة المستعملة في الخطاب (الشيفرة) ، خاصة القواعد التي تصنع اتساق و تماسكه كالحذف ، الإشاريات ، الروابط ، دون أن يهمل السياق و دوره الهام في الكشف عن الدلالة المقصودة للأفعال ، وكل هاته القضايا لا بد لمستعمل اللغة أن يعرفها، فالجهل بها قد يؤدي إلى سوء الفهم وفشل التواصل. وقد يستعين المخاطِب بسبل أخرى من أجل فهم خطابِه منها:

الإفهام بالشرح: وهي آلية ضرورية لا بد على المخاطِب الأخذ بها لأن " التفاعلات الحوارية بين الأفراد تنبني في جزءٍ منها على التشارح ، الذي يعتبر من المعايير

[1] أحمد توفيق حجازي ، الوعي الروحي أسرار الرموز و الأمثال،ط1، دار غيداء للتوزيع والنشر ، عمان – الأردن 2007م، ص10.

الأساسية لحصول التواصل"[1] و بما أن معظم الألفاظ تتغير مدلولاتها حسب السياق الموجودة فيه ، فالشرح إذا يعد ضروريا لتحقيق فهم سليم للخطاب.

وهناك أمر آخر لا بد للمخاطِب أن يضعه في الحسبان وهو أن المتلقي ليس بالضرورة أن يكون على علم بكل مدلولات المفردات التي يستخدمها المخاطِب ، فقد يعرف بعضها و قد يجهل بعضها الآخر ، خاصة إن لم يكونا على نفس القدر من العلم و المعرفة أوالرتبة العلمية و الثقافية .

وحتى يتجلى مضمون الخطاب جيدا يستعين المخاطِب بآلية أخرى هي :

الإفهام بالتمثيل: فالتمثيل هو أفضل ما يستعان به لتجلية الأمور و توضيحها أكثر في نظر الآخر، " فإذا كان الشيء متعلقا بغيره مقيسا على ما سواه كان خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام ...أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه..."[2] وهنا نجد عبد القاهر الجرجاني يجعل التمثيل في مقدمة الأمور التي تعين على الإفهام والتوضيح، حين قال فيه أنه خير ما يستعان به ، وهناك رأي آخر يؤكد ذلك نجده في قول أحمد حجازي :" إننا نجد الأمثال قد أبرزت المعقول في صورة مجسمة ..وفصّلت المجمل ، وأوضحت المبهم"[3] وليس الإتيان بالأمثلة والتوضيحات ، إلا لأجل غاية في نفس المتكلم أوالمخاطِب أو المُحاوِر ، قد تكون محاولة الإقناع والتأثير في الطرف الآخر.

3. **إستراتيجية الإقناع :** قد تسمى أيضا بالحجاج بكسر الحاء ، لأنها تقوم على إقناع المخاطَب بإعطاء حجج و براهين ،(ص55 التحاجج) وتتميز هذه الإستراتيجية بأنها الأكثر حضورا مع مختلف الاستراتيجيات الأخرى، باعتبار أن " كل قول حتى ولو كان لفظا واحدا هو حجة حذف أحد عناصرها"[4] وتكون المحاججة والإقناع بآليات يستخدمها المخاطِب من أجل التأثير في الآخر و إقناعه ،

---

[1] حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، أفريقيا الشرق،ط1، الدار البيضاء ، المغرب ، 2004م، ص118.
[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تقديم محمود محمد شاكر ، ط5،2004م، ص575.
[3] أحمد توفيق حجازي ، الوعي الروحي أسرار الرموز و الأمثال ، مرجع سابق ، ص 10
[4] طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان ، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997، ص255.

ويستمد الحجاج قوته من فضاءات سلطوية و علمية ومعرفية ، يعتمدها في الخطاب الذي سيوجهه للآخر.

وبما أننا بصدد الحديث عن الإقناع أو الحجاج فلابد من الإشارة إلى أن التمثيل له دور بارز في هذا الشأن ، حسب ما جاء عند الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة في حديثه عن التمثيل ودوره في إبراز المعاني :" واعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ،أو برزت هي باختصار في معرضه ، أونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبّهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها...وإن كان حجاجاً ، كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، و بيانه أبهر..."[1]

4. إستراتيجية التوجيه:

هي إستراتيجية تأتي موازاةً مع إستراتيجية الإقناع ، فتقديم المخاطِب الحجج والبراهين الكافية للمخاطَب ، تسمح له بانجاز فعل التوجيه ، لأنه يكون قد هيأ المخاطب ليقبل توجيهاته التي تكون مبنية على سلطة دينية أو علمية أو أعراف وتقاليد اجتماعية ، أو قد تكون باستخدام أسلوب آخر قد لا يأخذ طابع الإجبار، بقدر ما يأخذ طابع الترغيب والليونة وهو استمالة المخاطِب .

[1] عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، ج1، ط1 ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة 1902م، ص116.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : استراتيجيات الخطاب في شعر التومي سعيدان :

1) الشاعر وديوانه :

أ) سيرة حياة الشاعر :

1. **مولده وبيئته :** اسمه الكامل التومي سعيدان بن بنعالية بن مسعود بن عبد الله بن محمد بن الهاني [1] ، ينحدر نسب والده من بلدة الإدريسية ولاية الجلفة ، عرش أولاد سيدي يونس فرقة الصحاري الردادة *، الفلاحة وتربية المواشي هي مهنتهم ، والفروسية هوايتهم. قُدّر لوالده أن ينتقل إلى "تديكلت" سنة 1903م، أين استقر بإحدى أقاليمها "قرية اينغر"بلدية "عين صالح"، وتزوج من أمه ، التي تنحدر من أشراف ** "سالي" دائرة "أدرار" ، ويعرفون بأولاد سيدي لحبيب، أهل علم وورع وكرم ، وإسمها الشريفة بنت مولاي عبد الله بن مولاي أبامحمد الملقب بالهريوي [2] ، أنجبا سعيدان عام 1922م، فلم يدخرا جهدا في حسن تربيته والحرص على تنشئته على حب الدين و العلم والأدب ، وبعد عام من انطلاق شرارة الثورة الجزائرية أي عام 1955م توفيت والدته ، ليلحقها زوجها في العام الذي يليه1956م.

2. **تعليمه:**

كانت بدايته في طلب العلم عند التحاقه بالمدرسة القرآنية ، أين تعلم مبادئ اللغة العربية وبعض العلوم المتعلقة بالشريعة الإسلامية ، إضافة إلى بعض المتون والأدعية و الأوراد، وعمل على حفظ القرآن الكريم ، وتم ذلك على يد عدد من المشايخ أمثال : الطالب أمحمد، الطالب محمد أبو القاسم ، الطالب محمد الملقب بـ " بيشي " إمام مسجد السنوسي [3] . بعدها التحق بالمدرسة النظامية الفرنسية ، فكان أول طالب بها، وذلك حين طالب بفتحها - من الحاكم العسكري- أستاذه وصديق والده

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، ديوان مغذي الأرواح ومسلي الأشباح ،(د ط) ، مطبعة عمار فرقي ، باتنة ،(د ت)، ص 05.

* أردادة هو لقب أطلق على هاته القبيلة، ومعناه : الرافضة ، فالتاريخ يروي أن هاته القبيلة عندما أجمعت بعض القبائل على غزو أخرى، ترددت هذه القبيلة ورفضت المشاركة في الغزو ،إذ اعتبرته ظلما وتعدي على أموال الناس بالباطل.

** الأشراف مصطلح يطلق على من يعود نسبهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[2] التومي الحاج سعيدان ، الديوان، ص 05.

[3] التومي الحاج سعيدان، الديوان ، ص 07.

عمارة بن ابراهيم بن كاسي بن بهون ، كان من رجال الإصلاح ،فقد استغل هاته المدرسة التي أشرف بنفسه على التعليم فيها، في تعليم اللغة العربية أيضا إلى جانب اللغة الفرنسية، فحبب تلامذته في القرآن الكريم ولغته ، وعلمهم الكثير مما سينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم.

كما استغل نقله سنة 1935م للعمل في منطقة "عين صالح" ككاتب عام في الإدارة العسكرية الحاكمة ، في توجيه الناس فكان لايترافع إليه خصمان إلاً وسارع لفض الخصومة قبل أن تصل إلى الإدارة الفرنسية ، فاعترف الأهالي بفضله وصاروا يقصدونه لسماع اقتراحاته وتوجهاته [1].فصار يعمل على توعيتهم بضرورة العلم والتعلم ، قال عنه الأستاذ علي دبوز : " كان السيد عمارة بن ابراهيم بن كاسي بن بهون ذكي العقل شهم الفؤاد عزيز النفس شجاعاً لا يهاب أعداءه وأعداء دينه ووطنه صريحاً في حكمه ولين ولباقة يهاجم الفساد بالحجج العقلية والدينية ويميلهم إليه بلطفه ولباقته في المناظرة ، وسعة صدره وكان شديد الحب للعلم "[2] ، هذا كله كان جلياً في شخصية الحاج التومي سعيدان الذي تتلمذ على يديه .

3. موهبته الشعرية:

بدأ شاعرنا كتابته للشعر في سن السادسة عشر من عمره ، وكانت بدايته مع الشعر العاطفي (الغزل) ، فقد دامت مصاحبته له ستة عشر عاماً ، وفي سنة 1950م انتقل من كتابة الشعر العاطفي إلى كتابة القصائد الدينية [3] من أجل توعية الناس ، وغالباً ما كانت أشعاره في المناسبات كالأعراس و المآتم ، كانت له ولشعره منزلة في قلوب الأهالي سواء كان ذلك في الجانب الاجتماعي أو الثقافي وحتى السياسي .

حيث غالبا ما كان الشعر الجزائري الشعبي (العامي) آنذاك ، هو الوسيلة الوحيدة التي تعد فضاءً مناسبا لمخاطبة الناس ، وحملهم على الاستماع للقصائد التي ينظمها الشعراء ، خاصة ما يرتبط منها بالمناسبات، وكذلك تعد بمثابة مرجع

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، سكان تديكلت القدماء والاتكال على النفس ،مصدر سابق، ص 156.
[2] علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر ،(دط)، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر،1974م. ، ص 135.
[3] التومي الحاج سعيدان ، بطاقة مجاهد حي ،مديرية المجاهدين ولاية تمنراست ، ص1 .

تاريخي ، لأنها تشمل التأريخ للأحداث الحاصلة، وغالبا ما تكون هاته الوقائع والأحداث ، سببا مباشرا يدفع الشاعر لنظم قصيدة، وصدق من قال "الشاعر ابن بيئته الثقافية والسياسية والدينية..." [1]، وبما أن الأمر كذلك ، فكل ما ينظمه الشاعر سيكون له أثر في خلفيات الثقافية والفكرية لأفراد مجتمعه ، وهذا ما قام به شاعر الجنوب "سعيدان"، إذ نقل لنا تجربة الثورة في الجنوب ، إلى جانب دعوته للإصلاح ونبذ المستعمر ، و التحذير من دسائسه و مخططاته الدنيئة ومكره ، فكان لأشعاره الحظ للمساهمة في مقاومته، وبالتالي استطاع نيل رضا الناس واهتمامهم به وبما يقوله ويدعو إليه، لأن الأدب المقاوم هو الذي يوحد بين رؤى الناس ويجمعهم.

وهذا ما كان يدركه الشاعر" التومي سعيدان "،إذ تبيّنا ذلك حين أجرينا لقاءا معه ، وسألناه عن مكانة الشعر والشعراء في المجتمع فقال :" كان الناس يخافون الشعراء ، لأنهم آنذاك - نظرا لشحّ ثقافتهم و تعليمهم - كانوا يرون الشعر على أنه شيء مقدس له علاقة بقوى خفية أكبر، فكان أي شيء قد قيل منه، يُؤخذ مباشرة عن أفواه قائليه ، ليتردد على ألسنة الناس فيما بعد ، وكان إذا حدث وتعرض الشاعر لشخص ما بالهجاء، سيبقى ذلك الشخص موسوما بتلك الصورة التي رسمها له الشاعر ، حتى وإن كان ذلك افتراءا من الشاعر عليه، وربما كان هذا الأمر هو ما يدفعهم للخوف من فئة الشعراء ، والأمر نفسه بالنسبة للمدح..."[2]

4. الحياة المهنية والسياسية للشاعر :

رغبة "سعيدان" في التعلم ، وحبه للعلم ،جعلا منه طالبا متفوقا ونشيطا ، وطموحا أيضا، ولما رأى فيه أستاذه هذه الروح النشطة و الطموحة ، أسند إليه بعض الأعمال الإدارية التي كثرت عليه ليعينه فيها، وذلك لثقته بكفاءته اللغوية ، ونبل أخلاقه ، ثم أوكل إليه مهمة التدريس في المدرسة وتدريب الفرقة الكشفية التابعة لها، والتي أطلق

[1] غالي شكري ، أدب المقاومة مصطلحات الثورة ،ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،(دت) ص 30.
[2] التومي الحاج سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، حي القصبة ، 02 – 10 – 2012م، من الساعة 09:00 صباحا إلى 13:00ظهرا.

عليها إسم " شباب محمد " سرياً [1] وهذه شهادة الشاعر الأستاذ علي دبوز في كتابه - في كلامه عن الأستاذ "عمارة أولاد بهون" الذي يعد من رجال الإصلاح الذين كانوا في الجنوب الجزائري، وعن تلامذته- فيه ، يقول : " وكان منهم رجال مصلحون عاضدوه في إصلاحه وخلفوه فيه ، ومنهم السيد سعيدان " [2] وما ساعد الشاعر في تلك المهمة النبيلة ، هي موهبته الشعرية التي سخرها لتربية وتوجيه أبناء الفرقة الكشفية ، لما يخدم الدين والوطن ، إذ كانت دروسه وتوجيهاته ، عبارة عن أشعار وأناشيد يرددها أفراد الفرقة ليرسخ فيهم حب الدين و الوطن .

أمَا ممارسته للسياسة فقد ارتبطت أيضا بأستاذه ، فقد كان أحد أفراد الجماعة التي يرأسها الأستاذ "أولاد بهون أعمارة بن ابراهيم" ، فكان يمدهم بالكتب والمجلات الأدبية ليثري ثقافتهم وينمي حب الاطلاع لدى أفراد جماعته ، في سنة 1940 م انخرط "سعيدان" بجمعية العلماء المسلمين شعبة قسنطينة ، فكان يبيع بعض الكتيبات سرًا (غادة أم القرى ، حمار الحكيم ..) لصالحها ، كما كُلِّف بتوزيع الجرائد، وكان من المشتركين بجريدة البصائر منذ انخراطه بالجمعية ، والداعي للاشتراك فيها ، لكن الاستعمار سنة 1954م قام بتوقيفها وحرق المكتب .

كما أنه انخرط في حزب الشعب سنة 1950م، وأسس هو وأستاذه "عمارة" ،ومجموعة من الناشطين السياسيين بمنطقة "عين صالح" نقابة سنة 1951م ، ومنذ ذلك الحين صارت تلك المجموعة محل أنظار المستعمر ، حتى ألقت السلطات الفرنسية القبض عليهم .

في سنة 1950م انخرط في حزب الشعب الذي كان يحضر اجتماعاته في العاصمة ، اتهم مع مجموعة من رفاقه بعدائهم لفرنسا التي شددت رقابتها عليهم ، إلاَ أنَ ذلك لم يمنعهم من مزاولة نشاطاتهم سراً ، حيث اشتركوا في جرائد عديدة منها : (الحرية ، المغرب العربي ، الجمهورية الجزائرية التابعة لحزب البيان الجزائري برئاسة فرحات عباس ، ثم جريدة البصائر [3].

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص7 .

[2] علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر ،مرجع سابق، ص 137.

[3] التومي سعيدان ، بطاقة مجاهد حي ،مديرية المجاهدين ولاية تمنراست ، ص2.

عُين في يوم 09 جانفي 1957م عضو بمكتب الخلية التابعة لجبهة التحرير الوطني التي أسسها المجاهد " محمد جغابة " ، كما كان الشاعر مكلف بالكتابة وجمع المال والسلاح، وجلب المعلومات [1] ، في نفس السنة ألقي عليه القبض رفقة مجموعة من زملائه من طرف السلطات الفرنسية ، ووضعوا تحت الرقابة إلى غاية الاستقلال .

في سنة 1962م عند تأسيس حزب جبهة التحرير الوطني بالمنطقة انتخب كأول كاتب لخلية المناضلين التابعة للحزب ، كما انتخب في سنة 1963م كاتبا عاما للاتحاد المحلي للعمال من أجل تأسيسه حتى سنة 1972م ، كما أسس مكتب الثقافة العربية وكان مديرها مع مجموعة من الأساتذة منهم المحلين من القرارة ، إضافة إلى آخرين من : مصر وسورية ، كما عمل مراسل لجريدة الثورة والعمل التابعة للاتحاد العام للعمال من سنة 1963م إلى سنة 1971م .

أما الأعمال الإدارية التي قام بها بعد الاستقلال فكان منها : ضابط للحالة المدنية وكاتب الشؤون الاجتماعية ببلدية عين صالح ، ثم عضو منتخب بمكتب قسمة المجاهدين،مندوب الدائرة ، وعضو مكتب في المنظمة الوطنية للمجاهدين وأبناء المجاهدين بتمنراست [2].

ألّف الشاعر ثلاثة كتب الأول " فيه الشجرة العائلية للأب والأم وبعض الخطب والقصائد " ، والثاني : ديوان شعري " مغذي الأرواح ومسلي الأشباح " ، وهو ميدان هذه الدراسة، والثالث : " سكان تديكلت* القدماء والاتكال على النفس " الذي جاء في طبعتين الأولى سنة 2005م والثانية سنة 2012م ، وفي سنة 1986م أحيل الشاعر للتقاعد وهو ما جعله يتفرغ لتحضير متحفه التاريخي الذي كان يخطط له منذ الأربعينيات ، وهو يعتبر قبلة الباحثين و الدارسين المهتمين بتاريخ المنطقة ، إذ وجدناه قد احتوى على مجموعة من الآثار والصور، وكذا

---

[1] التومي الحاج سعيدان ، بطاقة مجاهد حي ، ،المصدر السابق ، ص 3.

[2] التومي الحاج سعيدان ، المصدر نفسه ، ص 5.

* منطقة تقع وسط الصحراء الجزائرية وبأقصى الجنوب ، على مسافة تقدر بـ: 1276 كلم عن العاصمة ، تقع بين "توات" غرباً ، وهضبة "تادمايت" شمالاً ، وهضبة "مويدر"ايميدير" جنوباً.[3] وتقع أساساً بين خط عرض 26°،30° و27° ،30°شمالاً، وخط الطول 30°، 0 شرقاً و 30°، 1° غرباً.

المنشورات التي كانت تنشر في زمن الثورة كتضمنه الأعداد الصادرة لجريدة البصائر.

5. **وفاته:** وأنا في خضم تحضير البحث، بلغني خبر وفاة الشاعر المجاهد الحاج التومي سعيدان ، وقد توفاه الله في الشهر العظيم شهر الصيام ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس، و بينات من الهدى والفرقان ، وكانت مشيئة الله أن تصعد روح هاته الشخصية المحترمة بتاريخ 25 جويلية 2014م الموافق لـ:27 رمضان 1435هـ، على الساعة العاشرة صباحا ، هي سنّة الله في خلقه ، وليس لنا سوى الترحم على روحه الطاهرة ، أثابك الله على ما قدّمت للجزائر ، وجعلك مثواك جنة الرضوان ، فقد عشت مجاهدا ، وقد مُتّ شهيدا مرضيا إن شاء الله .

ب) وصف الديوان :

1. شكلا:

يعد ديوان **"مغذي الأرواح ومسلي الأشباح"** من الدواوين الشعرية التي استطاعت أن تعكس مكامن الطبيعة الصحراوية ، التاريخية منها والاجتماعية ، والبيئية أيضا ، فجاء الديوان مزينا في غلافه بألوانها، فقد اختار الشاعر لونين ليلبسهما لديوانه، فلون الأرضية بني فاتح وهو لون التربة ، لون الارتباط ، وقد فسره علماء علم النفس على أنه لون قد يشير إلى حركة نكوصية ، والنكوص هو الرجوع إلى مرحلة سابقة ، ويمكن تفسير اختيار الشاعر لهذا اللون لديوانه ، في أمرين: الأول منهما هو رغبته في الرجوع إلى ما كانت عليه الجزائر من استقرار قبل الاحتلال الفرنسي .

أو الثاني وهو قد يكون رغبة منه في الرجوع إلى الفترة العمرية التي كان محاطا فيها بوالديه،إذ كان يتلقى الدعم و يستمد القوة من والديه ، وقد صعُبَ عليه الأمر بعد وفاة والديه ،وهذا ما دلت عليه قصائده فحين توفيت والدته نظم قصيدة طويلة يرثي فيها نفسه، و يبث فيها مواجعه والفاجعة التي ألمت به ، إذ نلمس ذلك في القصيدة التي ضمت أربعة وأربعون (44) بيتاً، كتبها شاعرنا عند وفاة والدته بعنوان : " دمعة على الخد " ومطلعها :

يا عمدة كي اندير نبكي مقواني من افراق أمي ياوعدي قريب نهبل

عيني بالدمـوع تهـطل وديانـــي واجروحي فـــي الكبدة ما بغات تبطل

..عز الدنيا أمشى مع ضي اعياني الصبر يا خويا الدنيا كل شي تبدل[1]

وختمها كعادته في ختم أغلب قصائده بالصلاة على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان : 53.

صلوا صلوا علـى شفيع الشجعاني رسـولنـــــا محمد بولالــة الكامل

والرسـل كاملين هدموا الأوثانـــي حرروا الأمم من الأوهام عاضل[1]

أما اللون الثاني لغلاف الديوان ، فهو اللون الأصفر، وقد تعددت دلالات هذا اللون في استخداماته ، وانطلاقا من هذا يمكننا استغلال هاته الاختلافات والاستفادة منها ، فهي تساهم في توسيع المجال لتفسير استعمال هذا اللون من خلال تعدد دلالاته ، وهذا يمكِّنُنا من الوصول إلى استنتاجات أكثر في دلالة استعمال الشاعر للون الأصفر في غلاف ديوانه، وأول هاته الدلالات هي ما جاء به القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى:" {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} [البقرة:69]، وقد ترادف اللون الأصفر في الآية الكريمة مع تحقيق السرور للناظر، وربما كان هذا هو غاية الشاعر في اختياره للون الأصفر لغلافه.

وورد في الحديث النبوي الشريف" يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب) فإذا أخذتها وشممتها لن تجد لها ريحاً خبيثة، ولكن ستجد لها رائحة حلوة طيبة، وتأكلها فإذا هي طيبة، فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كله طيب ظاهره وباطنه، فعبر عن ذلك بثمرة رائحتها جميلة، ولونها أصفر"[2]، وهو نفس المعنى الوارد في تفسير اللون الأصفر في القرآن.

وفي أقوال العلماء عن اللون الأصفر: "اللّونُ الأصفرُ بطولِ موجتِه يبعثُ النشاطَ في الجهازِ العصبيّ، فإذا أردتَ أنْ تعلنَ إعلاناً صارخاً في الطرقاتِ العامّةِ، فاللونُ الأصفرُ أطولُ أمواجاً من غيره مِنَ الألوانِ، ينشطُ الجهازَ العصبيَّ، ويؤثِّر فيه أبلغَ التأثيرِ"[3].وهاته الدلالة للون الأصفر يمكن استخدامها أيضا في تفسير استعمال الشاعر سعيدان له ، وهو من أجل جلب انتباه

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان: ص 55.

[2] أحمد حطيبة ، شرح رياض الصالحين ، ج93، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،http://www.islamweb.net، ص 08 .

[3] محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة،ج1، ط2، دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا ، 1426 هـ - 2005 م، ص57.

الناظرين لعنوان الديوان ، الذي هو في حد ذاته اختاره الشاعر ليكون بدوره وسيلة لجلب القراء ،لما يتضمنه من غموض في مفرداته، واختيار اللون الأصفر للعنوان ، أبلغ للتأثير على الجهاز العصبي.

وورد أن للّون الأصفر دلالة أخرى تختلف عن الدلالات السابقة "...ألوان الزروع المختلفة تتدرّج في النهاية إلى اللون الأصفر، وهو علامة على نهايتها، كما أن ألوان البشر تذبل وتنتهي في ساعات الاحتضار إلى اللون نفسه إيذانا بانتهاء حياة الإنسان، كما كان الصفار نهاية النبات"[1] إن دلالة اللون الأصفر التي أشار إليها هذا القول تفضي إلى النهاية و الزوال، ويمكن أن نفسر استخدام الأصفر كلون في الغلاف وبالضبط لون العنوان ، أنه استبشار بقرب انتهاء الاحتلال والاضطهاد الفرنسي للجزائر، وهي غاية الشاعر و أمنيته التي لطالما حلم بها ، وعمل على تحقيقها.

ومن الدلالات التي وجدناها قريبة من هاته الدلالة ما ورد في معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي:" الصواب والرتبة: -ضِحْكَة صفراء [صحيحة] التعليق: شاع هذا التركيب في الاستعمال الحديث كنوع من التعبير المجازي الذي يجسّد الفكرة ويصورها في قالب محسوس مع الاستفادة من إيماءات اللون الأصفر التي تشير إلى الذبول، والشحوب، والمرض"[2]. فالأصفر ورد هنا على أنه لون يدل على النهاية و الذبول ، وقد يحتمل اختيار هذا اللون للغلاف التفسيرين.

2. **مضمونا**:

جاء الديوان مؤلفا من أربعين صفحة بعد المائة "140ص"، ويضمر في طياته ثلاث وثلاثين قصيدة منها اثنان وعشرون مكتوبة بالعامية ، وإحدى عشر قصيدة مكتوبة باللغة العربية الفصحى، كان زمن كتابتها منذ عام 1951م إلى عام

---

1 عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، ج1، ط1، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، 1422 هـ - 2001 م، ص406.

[2] أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي،ج1،ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429 هـ - 2008 م ، ص:495 .

1976م تبعا للأحداث التي وقعت في العالم العربي الإسلامي ، خاصة بوطنه الجزائر .

أما مواضيعها فجاءت خمسة منها دينية ، و واحد و عشرون وطنية ، وقصيدتان في المجال الاقتصادي ، وخمسة اجتماعية ، كما أورد الشاعر قبل كل قصيدة مناسبة كتابتها والهدف منها .

العنوان: نحن نسعى من خلال هاته الدراسة للكشف عن طبيعة ومحتوى القصائد التي أدرجها الشاعر ضمن هذا الديوان ، وأول شيء يصادفنا هو عنوان هذا الديوان ، الذي اختير ليكون كفكرة عامة معبرة عن كل ما تضمنه الديوان ، وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في أن مهمة اختيار عنوان لمجموعة من النصوص الشعرية فكرة صعبة .

فمن الشروط الواجب توفرها في العنوان أن يكون مرجعا لكل فرع ينتمي لأصل هذا الديوان، فهو كما قيل" يعتبر عتبة نص أولى ، تمكن القارئ من الانفتاح على الأبعاد الدلالية والثقافية والسياسية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى على ما يحمله النص من وظيفة تآلفية تحاول كشف خفايا إستراتيجية الكتابة عند الشاعر" [1] ، فالعنوان عند فك شفراته نجد أن مفردتي الأرواح و الأشباح يحملان بعدا ميتافيزيقيا.

وربما نستغرب لماذا وقع اختيار الشاعر على ألفاظ غير محسوسة بعيدة عن الواقع الملموس ، لكن هناك ما يبرر ذلك في قول محمد مفتاح :" إن الشعر يخرق القوانين العادية ، التركيبية و التداولية و المرجعية ، ولكنه في نفس الوقت يخلق قوانينه الخاصة به "[2] ولذلك لابد من الانتباه لمثل هاته الأمور أثناء استكناه النص الشعري ، بتخطي القراءة السطحية لظاهر النص إلى القراءة العميقة لخبيئه .

---

[1] فاطمة درارس ، العنوان والفجوة عند الشاعر محمود درويش، فوضى على باب القيامة أنموذجا،(مقال)، مجلة آفاق علمية ، العدد الخامس 05،جانفي 2011م، المركز الجامعي تمنراست – الجزائر، ص 64.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، ط4، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،2005م، ص68.

وحسب ما يشير إليه مضمون الديوان ، وكذا عنوانه المستوحى أساسا من عنوان قصيدة ضمن الديوان ، أن الفكرة العامة التي حملتها دلالة العنوان تشير إلى زمن الثورة وزمن تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، إذ يمكن القول أن الديوان مهدى للأرواح المتعطشة للحرية و السلم ، ليغذيها بما حوته سطور هذا الديوان ، و يعبئها لأجل دعوتها للكفاح والتعاون لطرد الاحتلال الفرنسي و نيل الحرية والاستقلال ، وهو أيضا مهدى للأرواح التي ضحت في سبيل الله و الوطن حتى تكون الجزائر حرة مستقلة. وفي نفس الوقت هو ساخر من المستعمر وأعوانه الذين ستبقى فقط أشباحهم بعد فشلهم وانهزامهم أمام إرادة الشعب الجزائري .

تميزت قصائد "التومي سعيدان" ببدايتها بمقدمات نثرية ، كان هذا سعيا من الشاعر لتحضير المتلقي مسبقا حتى يتفاعل مع قصائده ، إذ أن مراعاة قدرات المخاطب و الأخذ بعين الاعتبار مجموعة العوامل التي قد تساعده على الفهم هي من الأساسيات الواجب على المخاطب العمل بها.[1] والشاعر هنا قد حضر لهذا الأمر مسبقا ، فهو من خلال هذا التمهيد يحاول قدر الإمكان أن ينجح عملية التواصل بينه و بين المتلقي الذي يفترض أنه سيقرأ أعماله ، فجاءت قصائده مكتوبة بلغة مجتمعه، قريبة من شخصية هذا المخاطب الاجتماعية ، وملكاته اللغوية و استعداداته التأويلية أيضا.

III. : دراسة في وسائل الإقناع و الحجاج في شعر التومي:

اتخذ الشاعر من الصفحات الأولى في ديوانه (الصفحات 5 -11)، ملخص عن سيرته الذاتية، ذكر فيها أهم الأحداث في حياته.

وفي مستهل ديوانه يرسم الشاعر، زخرفة حَوَت داخلها ،عنوان الديوان بالكتابة الإسلامية المزخرفة ، وقد أحاطت به بعض الأقوال المأثورة (إذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة، وإذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فمن أطاع الله عزّ نصره ، ومن لزم

[1] ينظر حسن الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، المرجع السابق ، ص118.

القناعة زال فقره ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله ، والوفاء لأهل الغدر غدر عند الله) .

ثم تليها في الصفحة الثانية وُضعت فيها صورة المجاهد الشاعر، مكتوب أسفلها صورة المؤلف ، ثم يليها الإهداء الذي كان غاية في الاختصار ، وبعدها مقدمة الكتاب التي يليها متن الديوان .

أول قصيدة عنونها الشاعر " نداء"[1] وقد جاء العنوان مناسباً للغرض الذي يسعى إليه الشاعر ، فالنداء هو الأداة التي بها نجلب انتباه الآخر المنادى ، وكان نداؤه لأبناء العرب عامة ، وأبناء وطنه ومجتمعه خاصة ، فيقول :

يا أبناء العرب قوموا إن الفلك دار وحاربوا الغرب الذي يريد خراب الديار

وحدوا صفوفكم بدين النبي المختار (أمر)

خلقتم لنصرة الحق (إخبار) ، (استخدام لام التعليل كرابط حجاجي)

تأملوا في الصحابة عقبة بن نافع ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ....(أمر)(حجة مثال)

هم الذين ملكوا الدنيا بدين العدل والأنوار (حجة)

اقرؤوا تاريخ الخلفاء ، تجدوا علم اليقين والأخبار.....(شرط والنتيجة)(حجة)

ثم يخصص النداء أكثر لأبناء وطنه الجزائريين ؛ يا معشر الجزائريين قوموا من الكسل ..(أمر) اسمعوا الأخبار ، افهموا ما قال عيسى صباغ (مدير هيئة الإذاعة الأمريكية بنيويورك) ، عن العرب الأبرار والأندلسي ، والوزير الأفغاني ، وجما الدين الأفغاني محرر الأفكار ، ونرى الشاعر قد استعمل أداة الربط الحجاجي "ما"، ليبين للمتلقي ماذا عليه أن يفهم ، ثم يقدم له النتيجة كحجة ، ليدعوهم إلى المشاركة في الكفاح الثوري .

ويواصل الشاعر في سرد أعلام الإصلاح والسياسة حتى يعزز بهم خطابه ، وفي الآن نفسه كي يؤكد على ثراء الكم المعرفي لديه ، الذي يجعله أهلاً ليدعو مجتمعه للعمل بما يوصيهم به ، وهو مثال واضح للإستراتيجية التوجيهية المبنية على الكفاءة العلمية، وثراء الخلفية المعرفية للشاعر ، وهذا نجده بوضوح في عرضه لمناسبة كتابة القصيدة ، فقد كتبها أثناء الاجتماع الذي كان يجمعه بزملائه المناضلين في

[1] التومي سعيدان ، الديوان ،مصدر سابق ، ص15.

المنطقة(منطقة عين صالح عاصمة تديكلت*) ، بعد طلب من زميله عثمان اجغاب . واختتم القصيدة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، و الدعاء ليحفظ الله العروبة و الإسلام

القصيدة الفصل بين عهدين، ص17-20:[2]

يذكر لنا الشاعر مناسبة كتابة هذه القصيدة ، وزمن كتابتها أيضا ، يروي الشاعر أنه صحى من نومه على رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد طاف بصحبته حول الكعبة المشرفة ، وكانت هذه الرؤيا التي رآها سببا في تحول مساره الشعري، من كتابة شعر الغزل إلى الشعر الثوري الوطني والإصلاحي .

الأبيات الأولى من 1-6: يتحدث الشاعر فيها عن حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي أضاء فؤاده ، ويحكي شوقه لمقامه و لبيت الله الحرام.

أما الأبيات التي تتوسط القصيدة 7- 13: الأبيات الثلاثة الأولى جاءت بصيغة الإخبار، يتحدث فيها عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم، الناس سواسية كأسنان المشط ، وكذا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ،ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى (أخرجه أحمد 23489) ، وهنا يتبين لنا استعانته بالسلطة الدينية للإقناع:

فوق عرفة تلقى كُبَراء و عامية * دين نبينا سوى كل من حضر* لا يفرق الألوان أكحل(أسود) ولا احمر.، كما نجد هذا البيت يتضمن أفعالا إنجازية : تلقى ، سوى ، لايفرق.

أما البيتين اللذين يليانها فهو يدعمها بحجة سلطوية تتمثل في قوله تعالى:" يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" الآية 5 من سورة فاطر ، ثم يدعو الله أن يتوب عليه ، ويدعم قوله أيضا بقوله تعالى في كتابه العزيز:"إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما"[3][الآية 48 سورة النساء].

---

* منطقة تقع وسط الصحراء الجزائرية وبأقصى الجنوب ، على مسافة تقدر بـ: 1276 كلم عن العاصمة ، تقع بين "توات" غرباً ، وهضبة "تادمايت" شمالاً ، وهضبة "مويدر"ايميدير" جنوباً.[1] وتقع أساساً بين خط عرض 26°،30° و27° ،30°شمالاً، وخط الطول 30°، 0 شرقاً و 30°، 1° غرباً.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ،ص 17 – 20.

[3] القرآن الكريم ، (الآية (48) سورة النساء).

و الأبيات الختامية من 14 – 17: يدعو الشاعر الله ليكون فراقه للدنيا على قول الشهادتين ، وأن يصلح ذريته، ويؤرخ للقصيدة ضمنيا ،أنها كتبت سنة ثلاثة وخمسون تسعمئة وألف، حين أنارت رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم بصره وبصيرته.

سعدان طالبك يا مولانا أنت تجود فيا حب محمد نور شعشع البصر

ثم ينادي الشاعر متلقيه أن يعينه بالدعاء ، ويدلل على ذلك بالدعاء وقت الفجر ، وهنا نراه قد استعان بالحديث النبوي :"ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له" متفق عليه[1]. ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

القصيدة الإسلام و الرجعية[2] ص 21- 24:

جاءت هذه القصيدة وفاءا للعهد الذي قطعه الشاعر بعد إتمامه للقصيدة الثانية في ترتيب الديوان بعنوان الفصل بين عهدين، ليرسخ بها تعاليم الدين الإسلامي ، وخاصة في الشهر الفضيل ، بغية إحباط محاولات المستعمر الفرنسي في بث الفرقة و الشقاق، بين أبناء الشعب الواحد كما يذكر في ديوانه ، فتارة عن طريق اللون، هذا أبيض و هذا أسود، التي حاول أن يرسخ بها فكرة الطبقية بين أفراد المجتمع الواحد، فالبيتين 1-2 ينوه الشاعر فيهما على مدى حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومدى تغلغل ذلك الحب في وجدانه، وهو الحب الذي ينبغي أن يكنه أي مؤمن بل ومسلم للنبي صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن عبد- وفي حديث عبد الوارث الرجل- حتى أكون أحب إليه من أهله وماله و الناس أجمعين"[3]

كما أن الشاعر في هذه القصيدة ، يلتزم بتكرار لفظة " أسغي للمعاني"، وهي دعوة منه للمتلقي ، ليركز على المعاني التي تحملها كلمات هذه الأبيات، نجده أيضا قد ركز فيها كثيرا على القاموس الديني ، وهذا بغرض أن تكون لغته سلطوية ، تأثيرية في المتلقي .

---

[1] مسلم بن الحجاج ،المسند الصحيح تح: محمد فؤاد عبد الباقي،ج1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ص525.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 21 – 24.

[3] مسلم بن الحجاج ، المرجع نفسه،ص67.

وفي الأبيات 3-6: يذكر الشاعر الناس بالمهمة التي بعث لأجلها النبي صلى الله عليه وسلم، ودستور المسلمين هو القرآن الكريم الذي يتضمن كل القوانين التي ينبغي اتباعها ، ويتضمن الآيات التي لابد من التدبر فيها، ويستعمل أسلوب الاستمالة والترغيب ، ليطلب من أبناء مجتمعه اتباع الطريق الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ،الطريق المستقيم.

ثم ينتقل ليبين أن اتباع ما دعى إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، من توحيد لله وطاعة لما أمر به المولى عز وجل في كتابه العزيز ، وانتهاء عما نهى عنه، له فضل عظيم في الدنيا والآخرة، ويشيد بمكانة الأمّة المحمدية ، وبما ميزها الله عن سائر الأمم بكرم الأخلاق ، ونعمة الإسلام ، وهو هنا يستعين بالسلطة الدينية لإقناع المتلقي فيستحضر في الأبيات قوله تعالى:"كنتم خير أمة أخرجت للناس"[1][الآية 110 آل عمران].

الأبيات 7-10: في هذه الأبيات نجد الشاعر يستعمل صيغة التحذير، إذ يحذر المتلقي من الاغترار بالحياة الدنيا وزيتنها ، فما هي إلا متاع الغرور ، يقول:

زخرف الحياة الدنيا غلطتو صعيبة يخرب الأفعال*راهو رمضان قريب وجدوا للسر الرباني

وهنا نجده يستعمل مفردات القاموس الديني، لكي يذكر المتلقي بقوله تعالى في [سورة الأنعام الآية 32] " وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون"[2].

يختم الشاعر البيت باستعمال صيغة الأمر المقترن بحجة الحدث ، وهو اقتراب شهر رمضان الكريم فيدعوهم للتحضر لهذا الشهر، باعتباره شهر الرحمة و المغفرة والعتق من النيران ، وفيه تتضاعف الحسنة بعشر أمثالها وتفتح أبواب الجنة والتوبة، ويواصل في شطري البيتين الثامن و التاسع تفصيل بعض العبادات باستعماله صيغة الإخبار "راهو يوصينا بالضعيف من نفقات المال ... وصانا مولانا في الكتاب بالاتحاد و الأعمال ..." ويحث على ذلك باستعماله أسلوب الوعيد بذكر ما سيكون عليه الحال في الدار الآخرة في عجزي البيتين :" الحالة راهي ما تدوم ادّخر شي

---

[1] القرآن الكريم ، " [الآية 110 آل عمران].

[2] القرآن الكريم ، [سورة الأنعام الآية 32].

للرحماني ... لا ينفع مال ولا بنون كل شي في الميزان" ونلمح استراجيته الإقناعية التي يوظفها لغرض التوجيه ، من خلال استخدامه للقاموس الديني ، إذ عند قراءة الأبيات نجدها كأنها تحيل إلى آيات قرآنية أو أحاديث نبوية . أما في البيت العاشر نجد أنه يعمد إلى تحريك الوازع الديني ، والنخوة الإيمانية في نفوس المتلقين، فهو يعلم مكانة الدين في نفوسهم ، وهذا ما ساعده على اختيار إستراتيجية الإقناع الأنسب ، وهي استعمال السلطة الدينية ضمن خطاباته الشعرية، فنجده يبرهن على ما يقوله بدعوتهم إلى النظر فيما قاله الله عز وجل في سورة الحجرات، والتي تسمى أيضا بسورة الأخلاق نسبة لما جاء فيها من توجيهات إيمانية :" يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم" وتفسيرها: يا أيها الذين آمنوا لا تقضوا أمرا دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا ، وخافوا الله في قولكم و فعلكم أن يُخَالَف أمر الله ورسوله ، إن الله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم وأفعالكم.

أما في البيت 11:[1]

انظر يا خويا في الكتاب تتفاجى من الاعلال *علم واتعلم كون صادق واعرف معنى الأديان وفي هذا الموضع ، نجده قد استعان بإستراتيجية أخرى في التوجيه وهي استمالة المخاطَب ، حيث استعمل لفظة " يا خويا" التي بالأساس تدل على صلة قرابة ، والتي جعلها الشاعر في مرتبة الأخوة بينه وبين متلقيه ، ليشعره أنه قريب منه قرابة الأخ لأخيه لأجل استمالته فيبدي له النصح والإرشاد.

وفي البيتين 13-14:[2]

اللي يسرط عسل بلا مضيغ ذا يعرف ما كال*عربي يوم أن جاء للرسول قال اتركها بالتكلاني ...

واجب نبينا قال اتوكل بعد الاعقال * من يحسب حاجة تجيه قوموا من ذا الكسلاني ...

يوضح الشاعر في البيتين أن النتائج من عند الله ،و ما على العبد إلا الأخذ بالأسباب ، ونجده قد اعتمد هنا الإفهام بالتمثيل ، حيث أنه ضرب مثال الأعرابي الذي أناخ ناقته ولم يعقلها، قائلا إني متوكل على الله، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص22.

[2] التومي الحاج سعيدان،الديوان، الصفحة نفسها.

"إعقلها وتوكل"[1]. كما أنه في الآن نفسه اتخذ الحديث باعتباره يمثل سلطة دينية ، كاستراتيجية للإقناع، الى جانب استعماله لفعل الإلزام والوجوب في صدر البيت الثاني (واجب).

في الأبيات 15-16-17:[2]

نظم واتنظم كيف خوك بونادم بالأمال * باغي نسأل أهل العقول واللي يفهم لمعاني...

اللي يفرق وحدة الأسلام ينجى من الأهوال* قالوا لي كن على يقين يتحرق بالنيراني...

يتكافى باصهاد الجحيم يا ويلو من الأهوال*البدائع كثرت ذا الزمان امحقوها يا شباني...

يستعمل الشاعر صيغة الاستفهام ، حين يتسائل عن مصير من يفرق بين المسلمين ، ما جزاؤه ، ثم يجيب عنه أن جزاءه جهنم ، والغرض من استعمال صيغة الاستفهام ليس لجهل الشاعر وإنما فيه تنبيه ، وتذكير للغافل ، وتوكيد للعاقل، كما أنه استعمل أسلوب التخويف أو الترهيب ، حين يقول " يا ويلو"، إلى جانب استخدامه لألفاظ التهويل :(صهد ، الجحيم ، الأهوال ، النيران، يتحرق..)

في البيت 18: [3]

المرض بلا دواء راهو يزيد لا تتبع قيل وقال*لو صبت رفاقه يالله غيارة على الادياني

في هذا البيت يعتمد الشاعر على العرف، أي على أمر متعارف عليه في محاولة إقناع المتلقي للوقوف في وجه المستعمر الفرنسي ، والذي شبهه بالمرض الذي لابد له من المعالجة قبل أن يستفحل و يتفاقم ، فنراه يستعمل صيغة النداء في عجز البيت ، ليستنهض كل وطني غيور على أرضه ودينه كي يدافع عنهما، ويتواصل ذلك في الأبيات التي تليه.

ونجد الشاعر يعتمد على أساليب الترهيب حين يستخدم لفظة "يا ويح"، في شطر البيت 21:

---

[1] محمد الترمذي ، سنن الترمذي – كتاب صفة القيامة – باب61رقم2517، وحسنه الألباني، انظر صحيح سنن الترمذي 309/2، وصحيح الجامع الصغير برقم 1068.

[2] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص23.

[3] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص23.

ياويح اللي خالف ذا الطريق سخطوا ربي في الحال..

وكذا لفظ "يا ويل" في عجز البيت 23:

يا ويل اللي يكره خوه في الإسلام ويفضل عنو بهتاني ...، وهي رسالة ترهيب موجهة للخونة من الجزائريين الذين قدموا ولائهم للعدو الفرنسي ، وباعوا أنفسهم ووطنهم مقابل متاع الحياة الدنيا الزائل ، يقول :

بدل مومن بطرف خبز و شوية أموال* واحسب هاد الدنيا اتدوم وانسى قول الرحماني...

أحفر حسيان لخوه طاح فيهم ضيع الآمال*ربي تنصر الصالحين والغيثة يا الفوقاني...[1]

ونراه أيضا يستعمل المجاز في تقريب المعنى ،في قوله حفر حسيان لخوه طاح فيهم ، وهو مستوحى من المثل العربي: من يحفر حفرة لأخيه وقع فيها، وهو تحذير صريح لأذناب الاستعمار الفرنسي. كما يوجه نداء الاستغاثة لله عز وجل ليكون ناصرا للصالحين الذين يرجون صلاح البلاد و العباد .

قصيدة الأعياد والاتحاد[2]:ص 25- 27

يذكر الشاعر في مناسبة نظم القصيدة ، أنها جاءت كرد فعل على قصيدة " المنظومة" التي كتبها أحد الإخوة كما يقول ، يهجو بها سعيدان وزملائه باعتبارهم نخبة مثقفة تدعو إلى التحرر و النضال.

والقصيدة في خطابها تمثل التوجيه ، إذ تكررت فيها صيغ الأمر والنهي و الوعظ والإرشاد

(لاتقفُ زلات العباد تعداها ..، لاتهاجم قول العلماء ..، لاتكن ثرثار بغير علم..،تأمل حديث طه..) ، ونجد الشعر قد استعان بما هو متعارف عليه في المجتمع (عرف ، عادات) كالكرم، فهو من شيم العرب ، ليجعل منه حجة داعمة لخطابه وإتباع توجيهاته ، يقول في صدري البيتين:

9- فوا الله لعمري رأيت بلدة تكره ضيفها*خصوصا إذا كان فيها دم العرب الأحرار

10- إن شهار العروبة الشجاعة وإكرام ضيفها...

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص24.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 25 – 27.

وفي استعماله أسلوب القسم "فوا الله" في صدر البيت 9، و التبرير "إذا كان" في عجزه ، استعانة بأساليب التوكيد وأدوات الربط الحجاجي ، لإقناع المتلقي بصدق موقفه .

وفي البيتين 18و 19 يستعمل لفظة الإخوان في نداء متلقيه ، كإستراتيجية لاستمالتهم وتوجيههم إلى ما يريده ، وهو يقدم دليلا آخر على أنه ، على علم بخلفياتهم المعرفية ، فهو حين يقول في عجز البيت18 وصدر البيت 19 (من عندهم فرقان لا يصعب علبهم أمر ...أوصيكم بالرجوع إلى الحجرات أمعنها) ، يدرك تماما أن من يوجه إليهم خطابه يدينون بالإسلام ، ويتنفسونه ، ولو كانوا غير ذلك لما استعان بمثل هذه الاستراتيجيات الحجاجية في التوجيه، وإدراك الشاعر للخلفيات المعرفية لمتلقيه، يساعده في إيجاد الإستراتيجية الأنسب لتوجيههم وإقناعهم و التأثير فيهم.

الفكـــــــــــــرة[1] ص 28-31

عند التقديم لهذه القصيدة ، يشير الشاعر إلى انه لطالما رغب في كتابة قصيدة عن الحرية، ولكن الاحتلال الفرنسي كان يتتبع كل صغيرة وكبيرة قد تصدر، خاصة من النخبة المثقفة بالمنطقة، هذا ما دفعه لاستعمال أسلوب التضليل ، فنظم قصيدته عن الحرية بحلة غزلية ، كي يتجنب مضايقات العدو الفرنسي،فسماها "الفكرة" كرمز للحرية .

من مستهل القصيدة إلى غاية البيت 13، استعمل الشاعر أسلوب التقرير، في بث مواجعه وآلامه لحال الجزائر التي استبد بها العدو الغاصب ، وكذا يعبر عن ولعه وغرامه تجاه محبوبته (الحرية) ، بطريقة فنية غزلية قد لا يدرك المتلقي لها ، أن الشاعر يتحدث عن الحرية.

في البيت 14: عيونك جعبتين صنع الطلياني*في يد طرشون امهول يوم رد الإبل

نجد الشاعر يستعمل التشبيه ، إذ يشبه عيون الحبيبة(الحرية) بالبندقية ذات الصنع الايطالي ، ويشير في الديوان أنها حركة منه لإغاظة المستعمر الفرنسي يقول في تقديمه للقصيدة:"كنت أبغض الاستعمار إلى آخر درجة ، مما دعاني إلى إغارته ، فمدحت السلاح الايطالي، واعتبرت سلاحه من أرذل الأسلحة ..."[2] .

---

[1] التومي سعيدان ، لديوان ، ص 28 – 31.

[2] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص28-29.

ونجده يواصل وصف المحبوبة (الحرية) بمجموعة تشبيهات: (أسنانك تبر عاج زي المرجاني ،ريقها من عسل المزوز مر العقل، نهدك تفاح امنقبو بنعماني...إلى غاية البيت25) [1]، وفي البيت 26 يدلل على أن كلامه لا يدركه إلا من يفهم المعاني ، وتفاصيلها المخبئة وراء المفردات ، ويواصل في سرد مواجعه وغرامه إلى أن يختم القصيدة.

الحب والمادة[2] ص 32 -37

يحاول الشاعر من خلال هاته القصيدة ،إعادة المياه لمجاريها ، إعادة الحب و التآخي الذي كان يقوي رباط الأمة العربية الإسلامية ، ويريد هنا الحب في الله ، الحب الحقيقي الذي يجب أن يقدمه كل مواطن تجاه وطنه و أمته ، وليس الحب المشروط الذي يكون لأجل مصلحة . وقد كتب هذه القصيدة في حبه الطاهر الخالص للجزائر بطريقة غزلية، لكي لا يتعرض لمضايقات العدو،فرمز إلى الجزائر بالحبيبة ، عندما جعلها في مقام المحبوبة ،و نجده يتغزل بها غزل المحبوب بمحبوبته ، ويشتكي نار الغرام كحال أي عاشق ولهان ، ويعدد في مفاتنها يقول: المحبة ماهي بالشراء تشري منو الارطالي*ولا بالقرعة فوق راس دلالة في الطبقان

معطى من ربي صاحب العطاء مسخر الاجيالي*لا يبريها شوك الطيب ولا سحر الكهان ....أسبابي نضر الغيد ذا المرأة زادتني المحان*شاهد ربي نبغيك يا الهجفه بدر الكمال

حالي من حالك ياك حبنا يتلاقى لقيان*شاتي نذكر خصلات فيك أنت يا زهوة بالي..

نور عيونك كيات سر هسسني شوف أحوالي*جرحوني جرح جديد في جوارحي يكوي كيان

خدك مرجان عقيق زادني الأهوال والأهوال*ياسمين و ورد وفل والحجة خالط بنعمان...

والصاق احجل كي تاهلي مكبس خلق الرحماني*احجاب الله تهليل ليك يامولات الجمالي[3]

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص30-31.
[2] التومي الحاج سعيدان،الديوان، ص 32 - 37
[3] التومي الحاج سعيدان،الديوان ص35 -37 .

ونراه في ذكر محاسن محبوبته للمتلقي ، تبرير لسبب غرامه وولعه بها ، فهو يعتمد أسلوب الاستدلال للإقناع ، فهو يعرض السبب (حبه لمحبوبته الجزائر) ثم المسبب(مفاتنها ومحاسنها) ثم النتيجة (بذل الغالي و النفيس لأجلها) .

وبعد ذكر المحاسن و المفاتن ، يستخدم صيغة الاستفهام في البيت 35 ثم يجيب عليه في البيت الذي يليه ، بلسان الفهماء و العارفين كتوكيد ، ليستعمل ذلك حجة إقناعية للمتلقي يقول:

يا الفوهماء بالله ساولوني وأنغيد أحوالي * دي الطفلة تستاهل ذا الكلام وإلا قولي بهتان

قالوا عيب عليك، لا تبطل من ذا الاقوالي * تستاهل ،طفلة تايكة(فحلة) عاملها بالإحسان

وكعادته يختم القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

القصيدة من وحي البصائر[1] ص 40 -41

جاءت هذه القصيدة بعد حادثة وقعت للشاعر مع الجنرال الفرنسي (توما – أبلون) ، فيروي أن زميله المكلف بالبريد بعين صالح "ايدير عبد القادر " ، تخلف في ذلك اليوم : 24 فيفري 1954م ، عن توزيع مجموعة الجرائد التي كانت تصلهم فوزعها أحد العمال ، ولكن عن حسن نية بعث بجريدة سعيدان إلى مقر عمله* فسقطت بين يدي الترجمان " أبلون " الذي حملها إلى الجنرال "توما" ، فاستدعى هذا الأخير "سعيدان" ليحقق معه في أمر جريدة البصائر ، لكن استطاع "سعيدان" أن يصرف نظرهم عن الشكوك التي كانت تجول بخواطرهم تجاهه هو وزملائه بطريقة ذكية هادئة لم تعرضهم لما كانوا يخشونه بعد ما كاد أمرهم أن ينفضح ، وكان موضوع القصيدة التي نظمها عن وصف حاله إزاء الموقف الذي تعرض له إذ يرى أنه لولا الادعاء في بعض الأمور ؛ كقراءة الجرائد الموالية للحكم الفرنسي ، "النجاح" ، "السعادة" ، "صوت افريقيا" ، وكذا الادعاء قراءة الكتب المسيحية ، وأن جريدة البصائر ، وما ذكره من الجرائد السابقة ليست سوى وسيلة ليكون نفسه ؛ دينياً وثقافياً ، ولا علاقة للأمر بالسياسة ، لما نجا من قبضة الحكومة الفرنسية هو وزملائه ،

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان، ص40 – 41.

* : كان عمله هو وزملائه هناك ، ليس لمصلحة الادارة الفرنسية ، وانما كان بالاسم فقط ليكونوا مطلعين على كل مخططات فرنسا ، وحتى لايقعو في أعينهم محل شك ، على اعتبار أنهم هم رؤساء النضال .

فعبر عن أوجاعه وحسرته على الحال التي هم فيها أو بالأحرى حال الجزائر عامة ، في معاناتها من وطأة المستعمر الفرنسي الذي ضيق الخناق على الشعب ، وحرمهم حقهم في الحرية [1]، فيقول : الله اكبر أتاسف عن بصائر مرغما ..... إلى غاية البيت السابع إذ يقول : ..... دع الأيام تجري ولا تكن معاندا ***حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً

ونجد استعماله لصيغة الأمر في هذين البيتين (دع) في توجيه الخطاب لمخَاطبيه ، وكذا استخدامه صيغة النهي ، (لا تكن) لغرض النصح ، وهو يحاكي في قوله هذا مقولة الإمام الشافعي في توجيهه : "

(دع الأيام تفعل ما تشاء ** وطب نفسا إذا حكم القضاء)2 ، وأما قوله :(حتى يقضي الله

أمراً كان مفعولاً) فهو اقتباس من قوله عز وجل : "لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ "3 ، ويريد من خلاله تحقق وعد الله بالنصر على العدو الكافر .

مغذية الأرواح ومسلية الأشباح [4]: ص43-47.

يشير الشاعر إلى أن عنوان القصيدة هو بالأساس، وصف أطلقه على ثورة أول نوفمبر المباركة ، وربما اختار لها هاته التسمية الغامضة التي لا يدركها إلا من يملك خلفية علمية عن الرموز والمفردات ، التي تتواجد ضمن النصوص الأدبية ، أو له اطّلاع على توجه ناظم القصيدة ، لكي يدرك أنها تتعلق بموضوع الثورة الوطنية والإصلاح . والروح تتغذى كما يتغذى الجسد ، وغذاء الروح العبادات (كالصلاة ، الذكر ، الصوم...) ، وكل عمل صالح يتقرب به العبد إلى ربه .

فكانت ثورة نوفمبر المجيدة ، ثورة على الظالم المستبد (الاحتلال الفرنسي) ، ثورة على الفساد ، والجهل ، ثورة على الذل والمهانة ، ثورة لاستعادة الحرية والسلام ، ثورة لإحياء العلم ونشر الدين الإسلامي السمح.

ولهذا نالت القصيدة إسم مغذية الأرواح ، ومسلية الأشباح ، وقد نعتَ الشاعر المستعمر الفرنسي بالشبح ، فلم تظل إلا أطياف المستعمرين وأتباعهم بعد قيام

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص40.
[2] محمد بن ادريس الشافعي ، ديوان الإمام الشافعي ، ج 1 ، ص1.
[3] القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الأية 44.
[4] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص 43 – 47.

الثورة، فقد فروا ، وأدركوا أن الشعب الجزائري ، كله على قلب رجل واحد ، لا يقبل المهانة والاستبداد . وجاءت هذه القصيدة بمناسبة الخطاب الذي ألقاه الشيخ : " محمد البشير الإبراهيمي " بباريس لدى هيئة الأمم المتحدة ، فكان فخر الجزائر، ولجمعية العلماء المسلمين خاصة ، وللعرب والمسلمين عامة ، ونظم سعيدان القصيدة ليمجد نشاطات هاته الجمعية يقول في مطلعها[1] :

يا حسراه على اللي ما يتفكر... لا يفهم الكلام ولا المعاني

والشاعر هنا يبدي حسرته على من لا يتفكر في حال الدنيا وما جناه من معاصي وأخطاء ، ولا يفهم ما يقال من الكلام ومعانيه ، ولا يقبل ناصحاً .

ويقصد الشاعر هنا الفئة التي كانت موالية لفرنسا ، والتي أطلق عليها اسم : أذناب الاستعمار يخدمون لصالح فرنسا ضد وطنهم ، وأبناء وطنهم ، الذين يرفضون فكرة الخضوع لفرنسا ، وقد استعمل الشاعر أسلوب النفي في مطلع القصيدة (الأبيات الأربعة الأولى) :

(لا يفهـم كـــلام ولا معاني ... لا يفكر في حال الدنيا والعار... لا يقبل نصوح ولا رباني... لا يديه النيف ...) كي يعزز موقفه السلبي منهم ، وقد استعان الشاعر بإستراتيجية أخرى لتقريب المعنى : هي التمثيل ، كي يقرب الصورة للمتلقي ، ويوضح ، كيف حال هؤلاء الخونة ، يقول : يتعمى عن كل مايحدق بالجار... يفكر في الأمور كيف السكران... إلى نصحك غارك كي الشيطان، فهو يشبهه بالسكران في تفكيره ، وتقديره للأمور ، ولا ينصحك إلا بما يضرك ، وما فيه شرُّك ، كما يفعل الشيطان ببني الإنسان ، يوسوس لهم ويغويهم ، ليعصوا أمر الله عز وجل ، ويقعوا في المعاصي .

وفي البيت الخامس نراه يستعمل إستراتيجية استمالة المخاطب ، أولاً بلفظ : أسألكم الله " سولان الله " وثانياً في صيغة النداء بلفظة " يا الخاوه " فهو ينادي متلقيه بمرتبة الإخوة له ، وهذا ليستملهم إليه باستعماله صفة القرابة بينه وبينهم ، ثم يناديهم " بأهل الأفكار " وهنا يبين لهم أنه على علم بخلفياتهم المعرفية ، وحصيلتهم الثقافية، ثم يستعمل صيغة الأمر في طلب ما يريده منهم ، وهو النظر والتفكر في أنواع بني الإنسان ،ونجد الشاعر وكأنه يستدرج المتلقي شيئا فشيئا نحو ما يريده منه ، يقول :

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص 43.

سولان الله يا الخاوه أهل الأفكار... نظروا في أنواع بني الإنساني

ثم يبدأ بالشرح وإعطاء الأمثلة ،وهي إستراتيجية للتوجيه والإقناع وتقريب المعنى ، يقول:

نوع يعجبك فكرتو كيف الفقهار ... ضيه كي القنديل نور الاذهاني

فتارة يشبه النوع من بني الإنسان ، وهم دعاة الإصلاح والخير، أفكارهم جديرة بالإعجاب، وشبهها بالشعاع الساطع ، وضوء القنديل تنور الأذهان ، والنوع الأخير يقول فيه:[1]

والنوع الآخر قصتو كيف السمسار ... متحزم على الشر عندو وجهاني

يعبد غير الصوردي وإلا الدينار ... في أمر العصيان يخدم مجاني

وهنا أيضا يستعمل إستراتيجية التمثيل و الشرح لتقريب المعنى للمتلقي، فيشبه النوع السيء من بني البشر بالسمسار، الذي لا يشد نطاقه ولا يكد إلا في عمل الشر ، منافق له وجهان، ولا يسعى سوى وراء كسب المال ، وان طُلِبَ إلى الفساد سعى إليه دون مقابل.

ثم يقول في البيت الذي يليه:

ولد ابن آدم طينته أصله فخار ... من وحلة مخدوم خلق الرحماني

وهنا يريد الشاعر التنبيه إلى أن أبناء آدم ، كلهم من طينة واحدة، وقد استدل بقوله صلى الله عليه وسلم :"كلكم من آدم وآدم من تراب" ، وقال الله عز وجل في سورة ص الآية 71 في خلق أبو البشرية سيدنا آدم عيه السلام: "وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين"[2]، ويفسر في البيت الذي يليه أن أحد الصنفين ثمنه غال، وهو الصنف الصالح وهو كناية أنه لا يقدر بالمليارات، والصنف الآخر ثمنه بخس ، يباع ويشترى مثله مثل ما يتاجر به في الأسواق ، وكل ما قاله الشاعر في الأبيات السابقة والبيتين التاليين لغرض توجيه السامع إلى اتباع الطريق السليم ، وعدم الاغترار بمساومات المستعمر الفرنسي وأتباعه.

في البيتين 13 و 14 يدعو الشاعر الله سبحانه وتعالى بقوله:

استر يا ستار أرفاقه من الأخيار... كارمين الضيف يحموا الاوطاني

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص 43 – 44.

[2] القرآن الكريم ، سورة ص الآية 70.

رجالة قدعان يشفو من الاكدار ... والا صاطوا(نفخوا) نارهم كي البركاني

ونرى أنه في البيتين قد استخدم إستراتيجية أخرى لاستمالة المخاطب ، وهي اعتماد ما في عرف و تقاليد أبناء بلدته من كرم الضيافة ، وحماية الحمى ،وكيف أنهم شديدو البأس إذا ما ثاروا ضد عدوهم ، فيستعمل هذه القيم و المبادئ لإلهاب حماستهم ، واستنهاض هممهم حتى يكونوا عونا لإخوانهم في باقي مناطق الوطن ، ويقفوا وقفة رجل واحد ضد المستعمر الفرنسي ، بالسلاح والعلم والتعلم ، ثم يواصل في البيتين التاليين 15 و 16 في ذكر الجزاء الجميل والحسن ، الجنة و الحور العين ، لمن يسعى لتعليم الدين الإسلامي ،وهي إستراتيجية من استراتيجيات الإقناع التي اعتمدها الشاعر هنا في الانتقال من الشرط أي من العمل ، إلى الجزاء أي النتيجة.

وفي الأبيات من 17 إلى 21 يدعو الشاعر ربه أن يجود عليه بنعمة الصحة و الهداية إلى الطريق المستقيم ، والفوز بالجنة .

ومن البيت 22 إلى البيت26 ، يبدأ الشاعر بسرد ما تقدم ذكره ، عن خطاب الشيخ الابراهيمي في مؤتمر هيئة الأمم يقول[1]:

نحكي ليكم قصتو رايسنا سار *** الإبراهيمي في أرفاقه زهاني

ألقى خطبة دوخت جميع الأشرار *** والبلاغة داخلة وسط أمعاني

ثم ساق السفينة بالأحرار**** يرهب منو كل من هو بهتاني

خاطبهم بالحق منظوم معبر *** ولا يتخلف يوم ملقى الجمعاني

عن محمد وارث العبر و السر *** لا يتاجر بالدين فكروا روحاني

فيما تقدم من الأبيات ، يعتمد الشاعر على ما يملكه من كفاءة علمية في خطابه الشعري، فكان يذكر ما جرى في المؤتمر، ويذكر كيف أن الدول العربية رحبت بمساعي الجمعية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ودعمتها ، كما فتحت القاهرة حضنها للشيخ الإبراهيمي ، ولغيره من أبناء الجزائر المناضلين ، ليدرسوا مختلف العلوم ، فبالعلم التحرر، وجاء على ذكر بعض الأعلام ، كـ:(توفيق المدني ، جمال عبد الناصر ، مصطفى بن بو العيد ، مبارك الميلي ، العربي التبسي ، أحمد رضا حوحو..) كل هذا يؤكد ما للشاعر من كفاءة علمية ، وكم ثقافي ثري خاصة في مجال

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان، ص 44- 47.

السياسة والإصلاح ، يستطيع من خلالها أن يكون أهلا للدعوة في الإصلاح والتوجيه والإقناع ، وأهلا لأن يقتدى بما يدعوهم إليه ، ونجد صيغة الأمر تتكرر في الأبيات :

التوبة "يا الإخوان" تبري من الكفر *** (توبوا) لينا قبل فوات الأوان

و(نرجعوا) لكتابنا ربي يغفر *** (سيروا) لينا في طريق الرشداني

الوحدة "يا إخوان" نخوة لا تحقر *** وصانا بها مولانا بالعاني[1]

وكذالك في البيت الأول من هذه الأبيات يستعين الشاعر بإستراتيجية استمالة المخاطب فيستعمل لفظ "يا الإخوان" فهي تقرب أكثر بين الطرفين ، باعتبارها صلة قرابة سيكون مفعول تأثيرها في المتلقي أسرع و أنجع.

كما أنه يستعين بأسلوب الترهيب أو بالأحرى الوعيد في عجز البيت، ليدفع متلقيه إلى الاستجابة لما يدعوهم إليه (التوبة) .

وفي البيت 54 نجده يستعين بالسلطة الدينية كإستراتيجية للإقناع ، فهو يدعو إلى الاتحاد من باب قوله تعالى:"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"[2] الآية 103 من سورة آل عمران.

وفي الأبيات الخمسة التي تلي البيت 54 ، يستعمل الكاتب صيغ التوكيد و الإلزام (لازم ، فرض ، لابد..) يقول:

الجزائر فرض لازم تتحرر *** الأمة لابد تبلغ الأماني

معهد بن باديس يبدأ يتعمر *** شيخ اللغة نابغة طريقو وحداني

وفي هذا الأسلوب حث للمخاطب لبلوغ الرجاء و تحقيقه ، وضرورة السعي لبلوغ الغاية . ثم يختم القصيدة بالدعاء للذين سعوا لنشر الدين الإسلامي ، وحاربوا لأجل هذه الغاية التي أنقذت الناس من الضلال و الكفر، ويدعوا أيضا بالرحمة و المغفرة لأرواح الشهداء.

قصيدة تأثير العلماء على الاستعمار[3] ص48 – 51

هي قصيدة ألفها الشاعر في مدح عالم من منطقة سالي دائرة رقان ولاية أدرار،"مولاي أحمد الإدريسي" ، بما آتاه الله سبحانه من سعة العلم والفقه

---

[1] التومي الحاج سعيدان،الديوان ، ص 47.

[2] القرآن الكريم ، الآية 103 من سورة آل عمران.

[3] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 48 – 51.

الإسلامي، وما يؤديه من دور شريف وسام ، في تدريس تعاليم الدين الإسلامي، لأبناء منطقة الجنوب الجزائري .

الأبيات 12 الأولى كلها مدح للعلامة الشيخ الإدريسي ، وفي البيت 13 نجد صيغة النداء يقول: يا من يعتنق الإسلام هذه حجة وكلنا مسؤولين...ومن لم يعتبر نفسه مسؤولا يعد من الخاسرين

فهو ينادي كل من يضمه لواء الإسلام ، ويجعله مسؤولا على رعاية علوم الدين،وتعلمه والإنفاق في سبيله ، ويذكر بصريح العبارة غايته من خطاباته في عجز البيت17 يقول[1]:

... السلام عليكم يا أمة محمد سيروا وأنا لكم من الناصحين، فغايته هي التنبيه في استعماله لعبارة "السلام عليكم" فهي عبارة التحية تفيد التنبيه إلى تذكيرهم أنهم يمثلون أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم تقديم النصح (سيروا...وأنا لكم من الناصحين)، وهذا ما يؤكد على روحه النضالية الإصلاحية .

ويختتم القصيدة كعادته بالدعاء للعلماء أجمعين أن يحفظهم الله من براثن الظالمين.

قصيدة دمعة على خد[2] ص52 -55

جاءت هذه القصيدة لغرض الرثاء ، وفيها يرثي الشاعر حاله بعد وفاة والدته الحنون، التي كانت سندا له في مسيرته النضالية هو وزملائه ضد المستعمر الفرنسي، ونجد أنه من خلال هذه القصيدة يوجه الشاعر رسالته التي لطالما عاش من أجلها ، كونه ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ويعد رجلا من رجال الإصلاح في الجنوب الجزائري ، فنجده تارة يرثي فقدانه لوالدته الغالية ، وتارة أخرى يتخذ من هذه الواقعة الأليمة مناسبة كي يدعو المتلقي ، لإصلاح حاله وعمله و الاتعاظ ، ونراه لا يبخل بإسداء النصيحة حتى وهو في جوف الأحزان.

ونجده يتخذ من البيت الأول إلى غاية البيت التاسع عشر ، مجالا ليروي قصة وفاة والدته ، وكيف تلقى خبر وفاتها هو وكل من يقربها، من أهل و جيران و أحباب ، ويذكر مراسيم جنازتها كيف صارت ومن حضر فيها.

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 48 – 51.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 52 – 55.

وفي البيت 20 ينتقل الشاعر من الجو الحكائي ، إلى جو النصح و الوعظ إلى أن يصل إلى ختام القصيدة يقول[1]:

20- يا سعدك يا الزين حمله ريحاني *** ايصد ما يترك قصة معفنة تهبل

21- يخرج منها نظيف مرضي الجيراني***لا حد يتلقى لو الله في سيرتو مكمل

22- أنواع بن آدم مفرقة كل ألواني*** نوع تلقاه يعجبك كيف مص لعسل

23- والآخر تلقاه شين مر وبهتاني***لا يدير الخصلة في سيرتو امبهدل...

26- الدنيا ما تدوم فيها الشيطاني **** تدله(تحيّر) الغالط يتبعها يضيع يغفل

27- لوكان تدوم وين مول الفرقاني ***وين الصحاب اللي كانوا معاه كامل

28- جملة صدوا أبقات غير المعاني*** هكذا جنس ابن آدم قضاه ينزل

29- اللي باغي الفهم يقرا لمعاني *** يزور لمقابر يحسب كم ثم يعقل...

32- لا ترهب من عدو كانوا بهتاني ***حالتو تتلاشى من فكرتو يبطل

33- لا تامن فيه وعاملو بالاحساني *** كان يرهش حقرو كيف الكلب يفشل...

36- يا بختك يا اللي كريم وروحاني ***متبع أقوال الفقه كيما قراه يعمل...

39- ياويح اللي ما تعمقوا في الادياني***عقولهم تتبلبل عن كل فكر تغفل

ونراه يستعمل أسلوب الترغيب تارة كقوله في صدري البيتين 20 و 36 ، يستعمل أسلوب الترهيب و الوعيد كما في صدر البيت 39، وهي كلها أساليب تدخل ضمن استمالة المخاطب فيما يتعلق بالمدح و الترغيب ، وضمن التوجيه والإقناع فيما يتعلق بالترهيب ، اعتمد فيها الشاعر على التخاطب و الخلفيات المعرفية للمتلقي ، لأنه يدرك أن أسلوب النصح و الوعظ ينبني على الترغيب تارة وعلى الترهيب تارة أخرى ، وهذا ما يتجاوب من خلاله المخاطَب مع المخاطِب غالبا ، كما لا نغفل استعانته بالقاموس الديني كما في البيت 26 ، ونجده يستعمل أسلوب الحجاج وهو الإتيان بالحجة لإقناع المتلقي بما يقوله في البيت 27، فهو يقدم حجته فيما تقدم في البيت 26 على زوال الدنيا والعباد،فيستخدم صيغة الاستفهام في جواب الشرط ، لو كان تدوم (شرط) ، (جوابه): وين مول الفرقاني ، وين اصحابو، ليترك للمتلقي المجال للبحث عن الإجابة التي تأتي في البيت التالي رقم 28.

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 52 – 55.

ونجد الشاعر لا يكتفي بهذا القدر من إعطاء الحجج للتوجيه ، بل يدعمها بالشرح في البيت الموالي رقم 29.

ثم في البيتين 32 و 33 نجد الشاعر يستعمل صيغة الأمر في إسداء النصيحة والتوجيه ، ويصل إلى ختام القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأمر بالصلاة عليه ، فـ به حرر الله العقول من الأوهام و الكفر و الجهل.

قصيدة رثـــــــــــاء[1] ص 57 – 59

إن التوجيه عند الشاعر الوطني الإصلاحي لا يقتصر فقط على مواطن معينة، وإنما نجده يتخذ من كل مناسبة ، مجلا لإسداء النصح و التوجيه والإرشاد لبني وطنه،ومجتمعه بالخصوص ، فقد نظم الشاعر هذه القصيدة يرثي فيها عالم من علماء قرية أقبلي ، الذين عملوا بعين صالح ، والى جانب رثاء هذا الفقيد و التأسف على فراقه ،وكذا تعداد مناقبه ، والدعوة له بالرحمة و المغفرة ، نجده يستغل هذه المناسبة للوعظ و التوجيه ، يقول:

8- من علم حرف أو زاد علم الإنساني**لابد يعطيه الله من فضلو الكامل

في هذا البيت يستعمل صيغة التوكيد (لا بد) ليؤكد على فضل التعليم و ثوابه عند الله عز وجل.

ثم يواصل الشاعر في ذكر فضل الأعمال الصالحة ، التي كان يعمل بها هذا العالم الفاضل ، وعلى أن ثوابها هو نيل المراتب العليا في الجنة ، ونجده يستعين على استمالة المخاطب ووعظه ، بما هو موجود في عرف المجتمع التيديكلي ، وهم جماعة "سبعون صالح" الذين تقام لهم في كل موسم زيارة ، فهم أولياء الله الصالحين في تلك الأرض ، الذين خصهم الله سبحانه و تعالى ببعض الكرامات ، فكانوا قدوة لمن جاء بعدهم ، يقول:

11- سبعين صالح* ، الجور في الجناني *** بحرمة النبي مول التاج المفضل

12- يا سعد القاريين معنى الادياني*** امكانهم عند المولى في الجنة مكسل

13- ينجاو من الجحيم حرق النيران *** جوار محمد بو لالة الكامل...

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 57 – 59.

* توجد حاليا بحي "أولاد بلقاسم" قبة "سبعين صالح" من أبناء عزي، وذلك للدلالة على عدد أولياء الله الصالحين من أبناء عزي.

19- الصبر أدوى الرزق عند الفوقاني *** اجميع من دار الخير طريقو توصل...

وفي البيت 12 نجد الشاعر يستعمل أسلوب الترغيب في لفظة "يا سعد..." ،ليحبب المتلقي في العلم و التعلم ، خاصة علوم الدين الإسلامي ، فجزاء من يفعل ذلك الجنة قرب النبي صلى الله عليه وسلم ، والنجاة من النار.

وفي البيت 19 يحث الشاعر الناس على الصبر، ويبلغهم أن من يعمل صالحا فجزاؤه الجنة، وذلك بتدعيم قوله بأداة من أدوات الربط الحجاجي (جميع) التي تشير إلى الأسوار التي تحدد من هم ضمن المجموعة، وقد بين الشاعر هنا أنه كل من فعل الخير ، سيُكافأ . ويختتم الأبيات كعادته بالصلاة و السلام على النبي و آله و صحبه.

قصيدة تحقيق حلـــــــم[1] ص 67 – 71

الحلم الذي يتحدث عنه الشاعر في قصيدته ، هو حلم الثورة المسلحة ووصولها إلى صحراء الجزائر ، وفرحة منه واستبشارا بها نظم هذه القصيدة الثورية ، التي تعتبر أطول القصائد في هذا الديوان ممن حيث عدد الأبيات ، وهذا دليل على طول نفسه الشعري ، خاصة حين يتعلق الأمر بميدان الشعر الثوري الوطني.

يستهل القصيدة بأسلوب تقريري يحكي فيه كيف التقى بزميل النضال "محمد اجغاب" ، الذي دعاه لضرورة بدأ الكفاح المسلح ضد فرنسا ، فلبى نداءه وقال "لبيك" كأي وطني غيور على وطنه ، وغرضه من استعمال الأسلوب الخبري (سرد ما جرى من أحداث) ، البعث برسالة ضمنية للمتلقي ، يطلعه فيها على أنه – كما يدعوه في خطابه ليفعل – هو كذلك كما يقول يفعل، ولا يكتفي بإعطاء التوجيهات والنصائح ، إذ يضع نفسه موضع القدوة لغيره ، من بني بلدته ، فهو وزملائه يشكلون النخبة المثقفة هناك، يقول:

7- قلت أنا لبيك يالخو راني حاضر *** آمرني باللي تحب عزم للعمل

8- البلاد يا خويا صحيح راهي في خطر***عيب علينا كان ما خلصنا نتعطل

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 67 -71.

ثم مباشرة في البيت الذي يليه ، يوجه خطابه للمتلقي ، باستعمال أسلوب الاستمالة في لفظ "يا خويا"، ثم أسلوب التأنيب تارة في لفظ"عيب علينا" ، ويبدأ في تقرير بعض المعطيات يقول[1]:

9- عصر السياسة مضى انكسر لا يتجبر**الكفاح يحل ميات(مئة) مشكل و مشكل

10- الاستعمار قبيح فكرتو بانت تظهر** لا يفهم غير الحديد نيرانو تشعل

و يواصل الى غاية البيت 16 الذي يستميل فيه المخاطب بأسلوب الترغيب يقول:

16- ياسعد اللي سبل العمر ما يتحير ** نصر وجنة ما يخيب فيها يتبجل

ثم يواصل في استمالة المخاطب عند مناداته ، باستعمال لقب يرفع من مكانته " يا مؤمن":

17- يا مومن وقت الجهاد كل آخر يصبر** سبل عمرك لا تخاف المشاكل تتحل

18- أجلك عند الله كن صابر تنتصر ** وطنك فيه أرجال عزتو لابد تكمل

19- حلفوا بالإيمان القطر جملة يتحرر**الاستقلال صعيب افدي بدمك يستقل

ونجد صيغة الأمر تتكرر في الأبيات (سبل عمرك ،كن صابر،افدي..).

ويعود الشاعر إلى أسلوب التقرير و الحكاية في الأبيات من 21 إلى 24 ، عن حلف الاطلنطيك الذي جاء بسلاحه ..وكيف أن جيش التحرير تصدى لهم واذاقهم المر.

وفي البيت 25 ينادي الشاعر المتلقي ، ليستنهض الهمم و يستميله إليه ، باستعمال لفظ "الأحباب" ، فهو يدل على المرتبة القريبة للقلب ، وكذا بوصفه أنه "أهل النيوف" فهو وصف فيه مدح و تشريف للموصوف ، وتحريك للنخوة العربية والوطنية الجزائرية ،يقول:

25- يا الأحباب أهل النيوف مولانا ينصر ** من يعمل مثقال خير لابد يوصل

26- ومن يعمل مثقال شر افضلو لقبر ** على خاطر فكرو خبيث خارج من الملل

ونراه يدعم قوله بالحجة الدامغة ، التي استعان بها من القرآن الكريم ، الذي يمثل السلطة الدينية العليا وهو في استحضار قوله تعالى :"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[2] سورة الزلزلة الآية 7-8.

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 67 -71.

[2] القرآن الكريم ، (سورة الزلزلة الآية 7 – 8).

ويركز الشاعر على الصنف الأخير، فيستعمل صيغة النفي للدلالة على النقصان ، ليبرز بذلك سلبية هذا النوع من البشر حيث يقول: (لا يعرف ينظر كتاب ..، لا يفهم شرف..، خالي من الإحساس..، خالي من الفنون..) ، كما يصفه بأرذل الصفات (جامد كي الحجر ، قصته كي لمبهلل ، بهيم ، وحشي ، متهور ، مرض ساكن لو لعقل ..) :

27- لايعرف ينظر لكتاب جامد كي لحجر ** خالي من الإحساس قصته كي لمبهلل

28- لا يفهم شرف بهيم وحشي متهور ** خالي من الفنون مرض ساكن لو لعقل

ثم يستعمل أسلوب النصح و التوجيه و الاستمالة في البيت :

29- نوصيكم يا خاوتي العزة في خطر ** ردوا مجد بلادنا افريقيا تكمل

ونجد أن الأبيات من البيت 30 إلى 37، كلها تتضمن أفعالا إنجازية ، (يزيد يبرى من نكسر، يعمل دين الله فوق المنابر ، لغة القرآن تزيد تتحرر ، العلوم تعم ، كل قرية تتهول ، مجدنا لازم يظهر ، يرضى عنا ربنا الكريم العادل ، الخمسة ترجع فرض ركعة في الأزهر، نكسروا الاغلال سلاسله تبدى تتحل ، نرشدوا العقول كلها تبدا تفكر ، نلهاو في تنظيم ملكنا ، عصر الحجر مضى وصد ، الاستبداد ما بقى ، لا تعريف ، كل واحد يتبخطر، لا تسريح، كل شي يبدا ساهل..) .

ثم يعود الشاعر لسرد الأحداث عام 1957م، بصيغة إخبارية حكائية ، بتحديد الأمكنة التي دارت فيها الأحداث (نيويورك ، القاهرة ، قناة السويس ،انقزام) ، وذكر الشخصيات "الأعلام" (الإبراهيمي ، توفيق المدني ، الأمين و عباس ، محمد يزيد مندوب الجزائر بـ:"نيويورك" آنذاك، المجاهدين ، رئيس حكومة فرنسا "قيمولي" ، "لاكوست" وزير الصحراء الجزائرية ، "إيدن" رئيس الحكومة البريطانية ..)[1] ، و استخدام الشاعر لصيغة الإخبار يعد إستراتيجية يستعين بها ليوضح للمتلقي أنه على كفاءة علمية ، قد تفوق ما يملكه المتلقي ، إذ نراه يفصل في الأحداث ، وكأنه هو من قام بها ، ولكن باعتباره شاهدا حيً عليها ، فهو ينقل لمتلقيه الأحداث بتفاصيلها ، بغية إفهامه ووضعه أمام الصورة ، ليكسب تأييده الكلي تجاه القضية الوطنية ، و يلهب حماسه ليكون مشاركا وفاعلا في ثورة التحرير الوطنية.

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 70-71.

وتتواصل أبيات القصيدة ، والشاعر تارة يصف وتارة يدعو ، و تارة أخرى يفتخر ..، وهي آليات يعتمدها الشاعر للإقناع و التوجيه.

قصيدة الاستعمار لا يحترم العهود[1] ص 78 – 85

نظمت هذه القصيدة بمناسبة استقلال الجزائر عام 1962م ، وقد نقل فيها الشاعر أجواء الفرحة ، ووصف بسالة المجاهدين و الشهداء الذين ضحوا من أجل الحرية ، والافتخار بهم، والدعوة بالرحمة و المغفرة لأرواحهم ، أيضا لم يغفل الشاعر تقديم النصح لأبناء الجزائر، وتوجيههم إلى طريق الفلاح و الصلاح ، ولم ينس حديثه عن القضية الفلسطينية ، والدعوة إلى الثورة لاسترداد ارض فلسطين من أيدي اليهود الغاصبين، وفي كل مسألة تطرق إليها من هاته المسائل في القصيدة نجده يستعين بمجموعة من استراتيجيات الخطاب كالإقناع والتوجيه ، واستمالة المخاطب ، والحوار و الإفهام .

ومن استراتيجيات الإقناع و التوجيه التي اعتمدها نجد ، اعتماده على السلطة الدينية في البيتين :

3- بشارة الاستقلال جاك بهلال ونجمة تاني*العاطي ربي صاحب العطا اللي كون الأكوان

4- هو واحد يحي العظام بعد انحرت ورشت المدفنه في التربانى*

لابد ديروا هو عوين يحميكم من الاشرار

إذ نجده يقتبس كلامه من قول الله سبحانه و تعالى :" أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير"[2] سورة الأحقاف الآية 33 ، وفي قوله أيضا :" قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم"[3] سورة ياسين الآية 77-78.

ليجعله حجة مؤكدة لوجوب الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والاستعانة به في مواجهة كل شر ، واتباع طريق الرشد سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وفي موضع آخر من القصيدة ، البيتين 13 و 14 :

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 78 – 85.

[2] القرآن الكريم ، (سورة الأحقاف الآية 33).

[3] القرآن الكريم ، (سورة يس الآية 77-78).

13- اجميع المال ما فيه الخير يسبب في الخسراني*اطيب بيه جباه الجامعين ويوقعوا في العصيان

14- لو جاد الله ، منو نصيب اجعل به الاحساني * ارحم ترحم ربي كريم تنجى من حر النار

نجده يستعين بما جاء في سورة التوبة في قوله تعالى:" وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) "[1] .

وأيضا في البيت 15 نجده يقتبس من قوله تعالى :" يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ - إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"[2] سورة الشعراء الآية 88-89.

15- **لاينفع مال ولا بنون يوم انصيب الميزاني*العبرة شوف السابقين ربحوا اصحاب الاحسان**

وفي البيت 26 يستعمل الشاعر أسلوب التحذير و النهي و يدعم ذلك باستعمال الوعيد، يقول:

26- باش تجاوب يوم الحساب يوم يجيك الحقاني*لاتكذب الكذب مافيه ما يفيد لايفلح الغدار

(الحقاني= الحق، الله سبحانه وتعالى).

وفي البيتين يدعو الشاعر المتلقي ليكون عونا للعرب المسلمين في فلسطين ، ويدعو الشاعر إلى محاربة اليهود الغاصبين ، باستعمال إستراتيجية الإقناع و التوجيه بالاستعانة بالسلطة الدينية ، إذ يشير الى ما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، من نبذ لليهود وبنو صهيون المشركين، ليزيد كراهتهم في أعين متلقيه ، وبالتالي دفعهم نحو الجهاد في سبيل استرجاع فلسطين ، والمسجد الأقصى ، يقول[3]:

44- اعفانه شينة يا الله ما تتّقبل في الوجداني*ملعونة في جمع الكتوب خازيها مول الغار

45- اتفكر خيبر في القديم يوم جاو الفرساني*خلصوا الاسلام المومنين عاونهم الرحمان

(جمع الكتوب=جميع الكتب السماوية)،(مول الغار= النبي صلى الله عليه وسلم).

---

[1] القرن الكريم ، (سورة التوبة الآية 34-35).
[2] القرآن الكريم ، (سورة الشعرء ، الآية 88-89).
[3] التومي سعيدان ، لديوان ، ص80-85

أما الاستراتيجيات الاخرى التي اعتمدها الشاعر في خطابه ، هي اعتماد التمثيل والشرح و تقريب المعنى ، فنجده في كل بيت إما يشرح ، وإما يأتي بأمثلة ، كاستعانته بالكتاب و السنة ، في رواية القصص واتخاذ العبر ، و أما الدعاء ففيه إستراتيجية لاستمالة المخاطَب ، حين يدعو الشاعر و يشرِك المتلقي في دعائه ، وكذا في استعمال أسلوب الترغيب (لبشارة ياك الفرح زاد عندنا ، انعيشوا أحرار..، يرضى عنا ربي ..، نفوزوا بجنة رضوان..، تبرى الأحزان...).

قصيدة الناطقون بالضاد[1] ص 86- 88

نظم الشاعر هذه القصيدة موجها خطابه فيها لأبناء بلدته ، يحثهم فيها على الاتحاد والتعاون في الأيام الحرجة ، وجاء هذا الخطاب مدعما بآليات تحفيزية إقناعية ، فنراه عند استعماله لصيغ الأمر و التوجيه يدعمها مباشرة بحجج و براهين ، أوبآليات أخرى كاستمالة المخاطَب ،أو اعتماد العرف و التقاليد السائدة في المجتمع ، أو من خلال الاستعانة بالأمثلة والشرح لتقريب المعنى ، ويمكن أيضا اعتماد آلية أخرى هي تبيان مرتبته الثقافية التي تدلل على كفاءته العلمية ، التي تخوله ليكون أهلا لإسداء النصح و التوجيه .

فنجده على سبيل المثال يأتي على ذكر بعض الأعلام ، و الأحداث و المسائل التي قد لا يكون المتلقي على علم كافٍ بها ، فتجده يوضح و يشرح ، واعتماده هذه الإستراتيجية لا ينم إلا عن دراية منه بأحوال متلقيه ، وبخلفياتهم المعرفية ، التي بناءً عليها ينسج خطابه ، ويعتمد ما يراه عنصرا مؤثرا فيهم.

وهو لعلمه بأنهم أصحاب لقب لسان الضاد ، يناديهم بهذا اللقب ، ليقع النداء في قلوبهم أكثر فيقول لمتلقيه:

1- الناطق بالضاد جاك وقت الحصاد *جاك كتب الفرقاني

3- الناطق بالضاد جاك وقت الحصاد*اتفقه وافهم المعاني

وفي تكرار العبارة في الشطرين الأول و الثاني ، توكيد على أن وقت الحصاد قد حان ، ونجده من باب استمالة المخاطب يتشارك معه التهنئة بالاتحاد إذ يقول:

2- مبروك عليا و عليك هذا الاتحاد*باهلال ونجمة ثاني

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 88-86.

وكذلك استعمال ألفاظ القرابة في صيغة النداء ، وقد تكررت في أكثر من موضع ، إذ نجدها في الأبيات:

4- مزغنة "يا خويا" ابلاد فيها امجاد*أبطال اهل الميداني

6- لبلاد "يا خويا" امشات منها الحساد* العزة للشجعاني

7- شرق يا "صاحبي" شوف ارض الأجداد*كرم ونخوة ومعاني

13- رافقهم "يا خويا" نعلموا ذا الاولاد*اعلوم الطيراني

20- الثورة "يا الأحباب" اتعلقوا في الأوتاد*ياك عربية فرساني

ونجد مما اعتمده من التشبيه(التمثيل) في الأبيات التالية حيث شبه العدو بعدة أمور، فقط ليقرب للمتلقي الصورة الحقيقية للعدو و يكرهه فيه ، يقول:

16- تسعة رهطين(تسعة رهط) خالقة للفساد*هذي كمشة فيراني (مجموعة فئران)

18- اتحدوا الينا اجميع نقصبوا(نقلّم) ذا الجراد* يتحرق بالنيراني

19- لا خاطر(لأنه) جرثومة قبيح فيه الاعناد(العناد)*يا ويحو من قدعاني(قدع= باسل)

وفي إستراتيجية التوجيه ، نجد القصيدة من بدايتها إلى نهايتها ، قد اعتمد فيها الشاعر على صيغ الأمر و النهي و الإلزام فيما سبق من الأبيات 3-7-13-18-20 -28-29-30 نجد : (اتفقه ،افهم..،شرّق..،رافقهم..، اتحدوا..،لاتنسوا..،لا تبخل..،لابد...، فرض علينا ..).

أما في استخدامه لقصص الأولين وعبرهم ، حجج قوية لتدعيم خطابه و توجيهاته يقول[1]:

22- عن محمد وارثين علم الجهاد*نصرهم الرحماني

23- عبد القادر في السابقين نح الغماد*شتت شمل الخزياني

25- في جرجرة مقران فرعس أهل الفساد*قاومهم بالايماني

26- تاريخ بلادك يافلان هو العماد*والبهجة عز الاوطاني

وقبل أن يختتم القصيدة يوجه خطابه لكل من يحمل دم العروبة والإسلام في عروقه ، للتطوع لنصرة المسجد الأقصى و تحريره من أيدي الغاصبين ، فهي قضية كل عربي مسلم أينما كان.

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 87-88.

قصيدة جبهة التحرير[1] ص 89 -91

نظمت هذه القصيدة بمناسبة تأسيس المكتب السياسي ، ومن خلال أبياتها يدعو الشاعر إلى الاتحاد و التعاون ، باعتماد استراتيجيات الخطاب التي تتضمن الاستمالة، و التوجيه الإقناع، والشرح و التمثيل ، واعتماد العرف و التقاليد ، والكفاءة العلمية،و السلطة الدينية.

ففي البيت الأول يستعمل إستراتيجية استمالة المخاطب في مناداته بلفظ القرابة " ياخوتي" واستعمال صيغ المدح و الترغيب يقول:

1- عام اثنين و ستين عام لمحبة والإيمان*مبدأنا يا خوتي اصريح احكامو جملة قرآن

5- أولاد البهجة تايكين اصليتهم عربان*جملتهم مخلصين بالمحبة كانت الألوان

9- يا سعدك يا فاعل الخير تنجى يوم الميزان*عن أوطانك مطلوب ليك المبدأ والإيمان

17- طريق التضامن خوك خوك عنوان المومنين*اتبعها خويا خير ليك تتكافى مرتين

18- **وحدة في الدنيا ضميرك نظيف وحر مع الأحرار*الآخرة في الجنة قصر ليك تمنع من كل اشرار**

22- نهضوا لينا نهضة أبطال بالفكرة و التفكير * ثورتنا يا خويا اصحيح بالوحدة جانا النور

26- واللي يصلح بين العباد ذنبو جملة مغفور*عبد القادر عالم وبطل كسر الكفر تكسير

31- العرب جملة خاوه صحاح نيفية كل ذكور*محمد منهم يا رجال حرر المحقور

و يستعمل في البيت الخامس صيغ المدح حين يقول :أولاد البهجة تايكين (فحولة) ، جملتهم مخلصين، وأيضا في البيت 31 حين يمتدح العرب جملة ، بأنهم صحاح نيفية (يتمتعون بالصحة و القوة ، لا يخضعون لعدوهم ، لديهم نخوة) ، ونجده في البيت التاسع أيضا يستعمل أسلوب الترغيب لاستمالة المتلقي حين يقول: يا سعدك يا فاعل

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 89-91.

الخير ، تنجى يوم الميزان ، فهو يمنيه بحسن ثوابه ، أن فعل خيرا في حياته لأجل وطنه ، ليرغبه أكثر فيما يدعوه إليه من الجهاد والإنفاق في سبيل الوطن.

وفي البيت السابع عشر نجده يستعمل آلية أخرى يستميل بها المخاطب - إلى جانب استعماله للفظ " خويا " الدال على قرابة الطرفين- هي اعتماده على العرف، حيث يستعين بحِكم وأمثال شعبية تتداول في المجتمع (خوك خوك لا يغرك صاحبك)، وهو مثال يؤكد على ضرورة الحفاظ على مكانة الأخ ، والوفاء له و الثقة به ، حتى وان كان لك صديق مقرب تعتبره بمثابة الأخ ، فصلة الدم و الرحم ، أقوى من أي صلة أخرى (خوك خوك عنوان المؤمنين) .

كما يستعمل في البيت 26 الشرط وجزاؤه ، ليرغب المتلقي فيما يدعو إليه وهو إصلاح ذات البين؛ لأنه من أجود أبواب الخير، وقمة المعروف، ولأن إصلاح ذات البين يفسد خطط الشيطان وغاياته، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟" قالوا: بلى، يا رسول الله قال: " إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة" [1]. حين يقول : اللي(مَنْ) يصلح بين الناس ، جزاؤه= ذنبو(ذنبه) جملة مغفور(كله مغفور).

ويستعمل التمثيل كإستراتيجية في الإفهام و تقريب المعنى ، حين يعطي مثالا عن الأمير عبد القادر و بسالته ، في عجزي البيتين 26 و 31.

ويختم الشاعر قصيدته بالدعاء لتتوحد صفوف الجزائريين ، وتكتمل الفرحة.

قصيدة أذناب الاستعمار[2] ص 97 – 98

نظم الشاعر هذه القصيدة في من باعوا وطنهم ، لأجل المصلحة الشخصية ، فخسروا الدنيا و الآخرة ، ويستهل قصيدته بالتحسر عليهم ،على الندم الذي سيظل مصاحبا لهم ، لأن التاريخ سيشهد دائما على خيانتهم ، وعارهم الذي اقترفوه يقول :

1- ياحصراه على أذناب الاستعمار * والجزائر حطمت أحزاب الخسراني

2- عصر المشوي راح يعطيكم لمرا*والوطاني نصرو الرب الفوقاني

---

[1] أبو داود سليمان (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج4، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،ص 280.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 97-98.

ثم يفتخر ويمجد خصال الجزائريين الأحرار، في البيتين التاليين لغرض استمالة المخاطب ودعوته لينتمي إليهم ،ويكون ممن آمنوا بحرية الجزائر ، و أن لا يرتكب غلطة الخونه:

3- لحنا جماعة اخوة من الاحرار * لا طماعة لا نبيعوا الاوطاني

4- نرضاو التعذيب بالماء و التيار* مبدأنا هو اللي عليه التكلاني

و في البيت الخامس يشرع الشاعر في سرد قصتهم مع الخونة ، لغرض الشرح ، ويستعين بالتمثيل لغرض تقريب المعنى :

5- نحكي ليكم يا الخاوه ماذا صار * و الخونة تحزموا بالبهتاني

6- خافوا من ذا الشعب اللي خدعوه جهار * يحاسبهم على أفعالهم بالوطاني

7- باعوه بقروي شعير شوفوا ماذا صار * زقايب(أكياس) من لعوين شراو بيهم خزياني

8- لحشومة في الزمبلوك(الظرف البريدي) اللي فيه الدينار * فيقوا(تنبهوا) بيهم لا يغدرونا ثاني

10- أخدمهم الاستعمار واعطاوه الاسرار... * 9- ... الخدعة في دمهم كيف الشيطاني

ثم يستعمل أسلوب الإلزام حين يدعو الى القضاء عليهم ، المنافق "لابد" يتكسر تكسار..

وينتقل الشاعر إلى أسلوب التوجيه و يستعين على ذلك باستمالة المخاطَب ، يقول:

15- شوفوا شوفوا يا الخاوه ماذا صار ...

17- صبرا صبرا كل مناضل صبار * احكومتنا واعية عليها التكلاني

ثم يختم القصيدة بالتأكيد على أنه لابد من زهقان الباطل ، وظهور الحق .

قصيدة دستور الجزائر الأول[1] ص 99 -100

نظم الشاعر هذه القصيدة ، بمناسبة إنشاء دستور مرحلة بداية الاستقلال والذي أخرج عام 1963م.

استعمل الشاعر استراتيجيات مختلفة في خطابه ، لغرض التوجيه و الإقناع و كذا الإفهام ، ومن آليات الإقناع التوجيه التي استعان بها نجد:

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 99-100.

استمالة المخاطب باستعمال أساليب الترغيب والمدح ، في البيت الاول حيث استعمل لفظ " الإخوان " في مناداة المتلقي ، للدلالة على دنو صلة القرابة بينهما ، ولفظ "الأحرار" كمدح و تمجيد لأصلهم الحر ، يقول:

1- عام ثلاثة و ستين زاد يقينا يا الإخوان * بشرنا بالمبدأ الصحيح تحقق يا الأحرار

ونجده استعمل أسلوب الترغيب أيضا في البيت الرابع ، حيث تتكرر عبارة "خير ليك" في شطري البيت، للترغيب و بيان حسن العاقبة في الأمر المذكور، يقول:

4- فسرهم وأمعن خير ليك علمهم الصبيان*آمن بالوحدة خير ليك لا تتبع الشيطان

وكذلك في الأبيات التي تليها ، إلى تتمة القصيدة ، يعدد الشاعر الخيرات التي عمت بعد الاستقلال ، من اطمئنان ، وعلو مجد ، ونجاح وبركة في الرزق ..

وفي البيت13 يعتمد الشاعر على أسلوب الترهيب ، الى جانب أسلوب الترغيب الذي اعتمده سابقا ، فهو يحاول أن ينفر المتلقي من فكرة الحزبية ، فاختار لذلك ، هذا الاسلوب الرادع ، إذ أن الإنسان بطبعه يخشى أن يقع في المصائب .

13- الحزبية شينة ما تفيد أنهى عنها الرحمان*تهدم ما تبني لو تسأل مصيبه من لكبار

ومن الآليات الأخرى التي استعان بها الشاعر في خطابه ، الحجاج بالسلطة الدينية ، كما في البيت السابق ، إذ يشير الشاعر ضمن خطابه أن الحزبية أو الفُرقَة ، من الأمور التي نهانا الله عز وجل عنها ، ووصانا بالاتحاد .

واعتمد الشاعر العرف كآلية للإقناع ، كما يقول في البيتين [1]:

21- اعمل واتعلم كن صديق وأرحم خوك الخويان*نخوة في العرب واعيين الأزهر يعطي الأخبار

22 –يسقينا من جمع العلوم خاوتنا من قحطان*الشعب الصالح كيف قال العروبة ما تتهان

فالإحسان إلى الإخوة نخوة في العرب ، وشيء ألفوه في طبعهم و عرفهم ، وكذا صون العربي لأصله وعرضه من الهوان و الذل ، هي خصلة متجذرة في العرب.

كما نجد الشاعر يستعين ، في آليات الحوار و الإفهام بالشرح و التفصيل ، لتقريب المعنى ، كما هو الحال في الأبيات من 3 إلى 11 :

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 100.

3- عام ثلاثة و ستين جاك دستور يا فلان* وجاب أربع نقطات ظهر لينا كل أسرار

5- أول نقطة فيها ادواك اغرسها في الشبان*دين الله دين الاسلام لبشاره مات العار

6- النقطة الأخرى عز ليك شعبية يا فرسان*الديمقراطية خالصة مسلمة يا شجعان

9- ثالث نقطة عدل ليك تنجاو من الحرمان*مغرف ليا الأخرى لخوك ونعيشوا كل احرار

11- النقطة الرابعة هي الساس نفدوها بالجسمان*جبهة وحدة يا رجال حلت لينا الاشوار

وهكذا يكون الشاعر قد فصل فيما تقدم ذكره في البيت الثالث ، وفي هذا الشرح والتفصيل دليل آخر للمتلقي على أن الشاعر على قدر من الكفاءة العلمية ، التي تخوله أن يكون موجها له ومرشدا.

وقد طغى أسلوب التوجيه في هذه القصيدة ، وما يبين ذلك هو أفعال الأمر التي تضمنتها: (..فسرهم.. ،..أمعن..،..آمن بالوحدة..، اغرسها..،..أحلف عنهم،..لاعف(أترك)..،..اقرأ، افهم..،..أنظر لعلامك(رايتك)..،..أعمل..،..تعلم..،..كن صديق..،..أرحم..)

والأفعال الإنجازية (..تحقق ،..نصنعوا صاروخين..،..ننجاو من الحرمان ..،..انعيشوا احرار..، نفدوها بالجسمان ..،.. حرضهم ..، ..رفعت راسك..،يعلا مجدك..، ..ترجع فلسطين..، انفرحوا كاملين..، ..انعيشوا في امان..، مولانا ينصر صفنا..،..نخدموا أرضنا ..، لغتنا ما تتهان ..، ..محمد يبشر..).

عيد العلم و الشيخ عبد الحميد[1] ص 103- 105

نظم الشاعر هذه القصيدة ، ليذكر بمناقب العلامة عبد الحميد بن باديس،فوفاته خلفت ثغرة كبيرة في نفوس الجزائريين ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة.

فالشاعر اتخذ القصيدة ميدانا ، ليروي انجازات هذا العلامة الكبير، فنجد الأبيات جلّها تتضمن أفعالا إنجازية ، تدلل على دوره الفعال ، وهي أيضا وسيلة اعتمدها الشاعر ، ليحث المتلقي على الاقتداء به (..كوَّن الأبطال..،..كوّن فكرة..،..ربّى أجيال..،..بنى عهد جديد..،..مهّد للثورة..،علّا شأنها(اللغة العربية)..،..أرحم

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 103- 105.

الأجيال..،..نوّر ناس..،..ازرع فيهم..،..خلى (ترك)حكمة صالحة..،..فسّر سر كتابنا..،..هزّ أركان الشرك..،داوى(عالج)..)

ونجده قد ذكر إلى جانب العلامة ابن باديس ، أعلام آخرين كانوا زملائه في النضال والإصلاح (العربي التبسي ، امبارك الميلي، ..وغيرهم) ، ليعطي للمتلقي مثالا حي – من باب اعتماد التمثيل لتقريب المعنى و التوجيه - ويوضح له ، أنهم استحقوا التخليد بالذكر ، لأنهم قدموا للجزائر العديد من التضحيات ، يقول:

20-... ** والجزائر الطاهرة نجبت رجال

21- يفخر بيهم وطنهم ناس الشهرة **ماتوا شهداء خلاو(تركوا) المثال.

ونراه يستعين بأسلوب الاستمالة في توجيه المتلقي ، فهو يستميله بالنداء و الدعاء ، ثم يدعوه بعد ذلك إلى ما يريده ، كما في الأبيات:

25- العلماء يا الخاوه صبارة ** أعطاو الدروس خلاو المنوال (استمالة)

26- اللي يتبعهم لا يخاف الصمصارة(السمسارة)** خافوا ربي لا يخافوا في القتال (ترغيب)

32- ارحمهم يا خالقي مولى القدرة ** واجعلنا جيرانهم في كل احوال (دعاء)

33- صلوا صلوا على النبي جاب البشرى** محمد بو فاطمة مولى الكمال (أمر)

37- يا الإخوان الصائمين الصبارة ** علوا مجد أوطانكم علم و آمال (استمالة، أمر)

38- انصروا المظلومين تبرد الجمرة**والصهيون الظالمة تخرج في الحال (أمر)

و يختتم الشاعر الأبيات بالتفاؤل لأوضاع صحراء الجزائر ، أنها ستكون أحسن وأحسن.

قصيدة نعي مولاي جلول[1] ص 106- 108

هذه القصيدة كتبها الشاعر ، عندما تلقى خبر وفاة مولاي جلول الرقاني ، من أشراف دائرة رقان ولاية أدرار ، كان من كبار الشيوخ مكانة ، عرف بالورع و الكرم والشيم الفضيلة.

في البيت الأول يؤرخ الشاعر لتاريخ وفاته يقول:

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 106-108.

1- ليلة الخميس صد ولد الرقاني *** على الخمسة شاعت الخبر بالتفاصل

وما يلي البيت من أبيات ، يعدد فيها الشاعر مناقبه ، ويعتمد ذلك كأرضية يبدأ بها ليبني عليها الأبيات التي تتضمن الوعظ و التوجيه، يقول[1]:

9- الدنيا ما تدوم كلنا فاني *** يسعد من قبلو ربي و العباد كامل

ونجد الشاعر قد اعتمد أسلوب الترغيب ، في عجز البيت حين استعمل عبارة "يا سعد" (ما أسعد) ليستميل المخاطَب ، ويدعوه للأعمال التي تجعله مقبولا عند الله وحسَن المكانة بين عباده.

ونجده يستعين في صدر البيت بقوله تعالى في سورة الرحمان :" كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ " الآية 25-26، فتدعيم قول الشاعر بالسلطة الدينية ، شرط كافي لإقناع المتلقي بأن الدنيا زائلة وزائل من فيها ، والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى ، لا بد عليه أن يعمل لآخرته.

ثم يواصل 12- سبحان الله كل من عليها فاني **واللي خدم ربي في روض النعيم يدخل

ونجد الشاعر يستعمل أساليب الترغيب و الاستمالة ، في كل مرة يريد أن يدعو فيها المتلقي، للعمل بأمر ما ، فمثلا في البيت 13 ، يستعمل عبارة " يا بخت" للترغيب ، ثم يدعو المتلقي، أن يكون صابرا و مؤمنا ، وزاهدا في الدنيا ، يقول:

13- يا بخت الصابرين وأهل الايماني ***اللي يزهدوا شيء الدنيا اللي تهمل

ثم يعود لتعداد مناقب الفقيد وصفاته ، في الأبيات من 14 إلى 17، ليجعلها مثالا حيا ، يستعين به ليقرب للمتلقي ، كيف ينبغي أن تكون صورة الإنسان المؤمن الصالح ، إذ يقول في البيت 18- هذا مثال شوف صاحب الاحساني***يصد ويخلي فكرة صالحة توصل

ثم يعود الى التوجيه الذي يتجسد في صيغة الأمر التي تكررت في الأبيات (أصبر..،تحانوا (من الحنان)،..دير (اجعل أو افعل حسب السياق) ..، عاون..،..أرشدوا..)

و في البيتين 32 و 33 ، نجد الشاعر يستعين بالعرف و التقاليد ، في إستراتيجيته الاقناعية التوجيهية ، حيث أتى على ذكر موسم الزيارة " زيارة مولاي جلول

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 107-108.

الرقاني" ، التي تقام كل عام ، فيحضر إليها الزائرون من كل مكان ، إذ تقام مأدبة كبيرة كصدقة ، في ختامها يقرأ الحاضرون الفاتحة على روح الولي الصالح ، وأموات جميع المسلمين .

32- الفقارة في العام تزور قبره الرباني* مولاي عبد المالك لزيارتو امعول

33- من كل بلاد تجيه تريس و فرساني* الزاوية تحمل كل الناس ثم تاكل

ثم يختتم الشاعر القصيدة بالدعاء و الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

قصيدة أول احتفال اقتصادي بعين صالح[1] ص 109- 111

نظم الشاعر هذه القصيدة ، بمناسبة تنظيم أول احتفال اقتصادي بمنطقة عين صالح ، بعد عيد الاستقلال ، فكان احتفالا اقتصاديا بالدرجة الأولى ، لما حققته المنطقة من ازدهار ، خاصة في مجال الزراعة ، ثم اجتماعي و ثقافي بالدرجة الثانية ، إذ نظمت فيه مختلف التظاهرات الثقافية و الاجتماعية.

وعرض الشاعر في هذه القصيدة ، مختلف الانجازات التي حققتها منطقة عين صالح ، فكانت الأفعال الإنجازية هي الغالبة على القصيدة ، أما صيغ الأمر و النهي، فلا نجدها إلا في الأبيات التي يقدم فيها الشاعر توجيها أو نصحا.

من الأفعال الإنجازية نذكر(..جددناه ..،..نسيناه،..غناه..،..علّمنا..،..أرفع..،..قوّى ..،..زاهرة..،..يؤمن..،..خلّيناه(تركناه)..،..عادينا..،..لايخاف..،..حررناه..،..أجنيا ثمره..)

وفي القصيدة يعرض الشاعر مختلف الطبوع الفنية ، التي تميز الجنوب الجزائري ، يقول:

9- البارود ينين ياسر بالكثرة ** و السبيبه طرب جانت يا محلاه

10- قرقابو و التندي فيهم نظرة ** رقص ورياضة وكنا نتمناه

وهذا بغرض اطلاع المتلقي على ثقافات المنطقة .

وفي البيت 21 يعمد الشاعر إلى استمالة المخاطَب في نداءه بلفظ "الأحباب" ، وهذا لغرض يذكره الشاعر في البيت الذي يليه رقم 23 ، وهو عدم نسيان القضية الفلسطينية ، وبذل الجهود لحلها ، وتحرير المسجد الاقصى من أيدي اليهود الغاصبين ، يقول:

---

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 109-111.

21- يا الأحباب أهل النيوف الصبارة ** جبهة وحدة كل عدو نتلقاه

23- الصهيوني عادتوا فيه الغدرة ** والحرم محال جامعنا ننساه

ثم يدعو الشاعر في البيت 34 الى نبذ الحسد و الحاسدين ، والتحلي بالإخلاص ، بالاستعانة بأسلوبي الترهيب و الترغيب :

34- والحسود يكسره كم من كسره ** والمخلص لابد حورية ترجاه

فالحاسد لن يلقى في الآخرة إلا الكسر و العقاب ، أما المخلص فسيجازيه الله بالحور في الجنة.

ثم يختتم الشاعر قصيدته كالعادة بالدعاء و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قصيدة رائد القومية العربية[1] ص 112- 114

نظم الشاعر هذه القصيدة ، تخليدا لذكرى الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ، في مستهل القصيدة يبدي الشاعر حسرته ، لفقدان زعيم القومية العربية ، ثم يشرع في تعداد مناقبه ، التي سيظل التاريخ شاهدا على ما قدمه هذا الإنسان للعروبة ، فجاءت القصيدة زاخرة بالأفعال الإنجازية (..جدّد..،كوّن ثورة..،..جمع ناس مشتتة..،..حطّم الطغاة..،..جدّد الدولة..،..بنى السد..،..نظّم العمال...)

ولا يغفل الشاعر في هذه المناسبة الأليمة ، عن تقديم النصح و الوعظ ، فنراه في البيتين 19 و 20 يستعمل أسلوبي الترغيب و الترهيب ، ليستميل المتلقي إلى ما يدعوه إليه ، من فعل الخيرات و ترك المنكرات ، يقول:

19- اللي دار الخير يبشر بالبشرى ** ويلقى ربه نظيف في يوم الميعاد

20- اللي دار الشر يضحى في حيرة** تتبرى(تتبرأ) منو جميع الافراد

ثم يختم الشاعر القصيدة بالتوجيه ، حيث يقول : "خذ العبرة" ، فمن لم يعتبر في دنياه ، لن يتعلم كيف يسلك طريق النجاة إلى الآخرة في الجنة ، و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء لأرواح الشهداء.

قصيدة الثورة الزراعية[2] 115 -117

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 112-114.

[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 115-117.

يتخذ الشاعر من أبيات هذه القصيدة ، مجالا لسرد الأحداث ، ووصف نتائج الثورة الزراعية بعين صالح ، ويقدم من خلالها الشكر و الثناء لله على النعمة ، ثم للرئيس بومدين.

والغاية من وراء ما ذكرنا هو تحفيز المتلقي (أبناء بلدته) ، للعمل أكثر من أجل الجزائر ، والدعوة إلى الحفاظ على الأمن والاستقرار والاتحاد والتعاون ، وشكر النعم بقوله :" حمدوا ربي على النعمة _ سيروا جملة بكل حكمة _ بجاه الرسول .

قصيدة طريق الوحدة الإفريقية[1] ص 118_119

ألقى الشاعر هذه القصيدة بمناسبة تدشين طريق الوحدة الإفريقية ، وزيارة الرئيس لمنطقة عين صالح ، وقد جعلها مجالا لعرض إنجازات فترة ما بعد الاستقلال خاصة ، فيما يتعلق بمجال المحروقات يقول :

في حاسي مسعود تقالت كلمتنا ... والبترول اجميع زدنا حررناه

جميع المحروقات في يد حكومتنا ... عصر الاحتكار لحنا نبذناه

ويدعوا الشاعر في ختام القصيدة للالتفاتة إلى القضية الفلسطينية ، يقول :

إلى الأمام ياخوتي في نهضتنا**والمسجد الأقصى يرجع لمولاه (أصحابه ،يقصد المسلين).

قصيدة حرب رمضان والعبور[2] ص 120-123

نظم الشاعر هاتين القصيدتين ، عندما كان في حالة خوف وترقب من أن يهزم العرب في حرب أكتوبر ، والقصيدتين فيهما دعوة إلى الاتحاد ، والتعاون ضد الدخيل الصهيوني ، والكفاح لأجل استرداد المسجد الأقصى من أيدي اليهود الغاصبين ولتكون أرض فلسطين كلها عربية مسلمة .

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 118-119.
[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 120-123.

قصيدة الدستور[1] ص 131-133.

في هذه القصيدة يهنئ فيها الشاعر الشعب الجزائري بصدور الدستور الجزائري ، وهي آخر قصيدة في الديوان ، تتكرر في القصيدة أساليب استمالة المخاطب باستعمال الترغيب تارة ، والترهيب تارة أخرى ، وهي إستراتيجية ناجحة إذ كلما استمال المُخاطِبُ المُخاطَب وقرّبه إليه ، كلَّما ساعده ذلك على التأثير فيه ، وتسيطر الأفعال الإنجازية ، على القصيدة فتحقق ما يرمي إليه الشاعر بطريقة غير مباشرة .

1- " ياخوتي" دستورنا قرب يحضر ..... نفرحوا جميع وتتحقق الآمال (ترغيب)

3- "أسيثو يا جزائري تبنات الدار ..... هذا الثورة طاهرة رحمت لجيال (ترغيب)

11- "يا سعد اللي عمروا غرسوا الأشجار ..... قهروا جيش فرنسا فوق الجبال (ترغيب)

22-"ناس دزاير كلهم كرماء وابرار ..... ولا يرضاو الظلم ولا قبلوا المحال (مدح)

34-"اللي دار الخير يجاوروه مع أخيار..... وفي جنة رضوان يدخل باحتفال (ترهيب)

35-"اللي دار الشر يجاوروه مع الكفار ..... يدخل الجحيم يتكبل تكبال (ترهيب)

كما نجد الشاعر يستعمل إستراتيجية التوجيه ، والتي تتجسد في البنى الطلبية التي تتكرر في الأبيات :

25-"قفزوا يا شبان سوسوا(انفضوا) كل أغبار.... واتبعوا نهج أبطالنا ناس النضال.

26-"اقراو العلم واتفقهوا جيبوا الأنوار..... والقرآن كوّنوا به الأطفال.

38-"أخدم وطنك كن واعي مع لكبار ..... وارشد خوك اللي تهاون على الأعمال

ثم يختم الشاعر القصيدة بالصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه[2] .

وبعد استقراءنا للخطاب الشعري الذي جاء ضمن قصائد هذا الديوان ، من بدايته وصولا إلى ختام الديوان ، لم يخفى علينا أن الشاعر نظم قصائده للآخر

[1] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 131-133.
[2] التومي سعيدان ، الديوان ، ص 133.

المتلقي ، ووجه خطابه إليه فالنص كله كان عبارة عن صيغ إخبارية تقريرية ، وأفعالا إنجازية ، و صيغ إنشائية طلبية (الأمر ، النهي ، الاستفهام، التحذير..) وهذه الصيغ و الأفعال لا تستعمل اعتباطا ، إلا إذا كان هناك متلقي حاضر أوحتى مفترض يتلقاها و يتأثر بها ، والشاعر لا يكتب رسالته(قصيدته) إن لم يكن عازما على إرسالها ، وإلا ما فائدتها إذا؟، ولماذا كان النص إشاريا ما لم تكن الإشاريات المستعملة في الخطاب تشير إلى مستقبل لهذا الخطاب؟ وبذلك فالأدب هو مجال للتواصل بين المبدع و الآخر المتلقي، "لا نستطيع أن نلغي وظيفة التواصل في الأدب، إما أن نعتبر النص الشعري منغلقا على نفسه لا يُحدّث إلا نفسه، وفي هذه الحالة لماذا ينشر ولماذا يشترى؟ وإما أن النص الشعري فعل تواصلي وفي هذه الحالة لا بدّ من سياق ... السياق الأدبي ينبغي أن يعتمد فيه على النص نفسه إذ أن هذا الأخير يبني هذا السياق طوعا أوكرها من أجل أن يحيا كنص"[1].

[1] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء-المغرب ، 1991م.ص305 ،ص325.

خاتمة

خاتمة:

ديوان " مغذي الأرواح ومسلي الأشباح " ، ثروة أدبية ، وفضاء فكري خالص ، وقيمة تراثية غالية ، وكذا مساهمة تاريخية عظيمة ، ووسيلة ناجحة و فعالة لتأجيج الثورة ، واستنهاض الهمم .

فهو ثروة أدبية ، كونه جمع بين دفتيه خطابات شعرية من إبداع هذا الشاعر الذي آثر كتابة الشعر منذ نعومة أظافره ، فطوّر حسه الإبداعي و الفني ، فكانت أشعاره قبلة الهاوي المتذوق للأدب و فنياته.

وكونه فضاء فكري خالص ، تجلى في توجهه الفكري الإصلاحي ، الذي كان يتجسد في كل كلمة ينطق بها ، في خطاباته الشعرية ، ولعل الفضل يعود في ذلك إلى الأصالة الكامنة المتجذرة فيه روحه ، من الدين الإسلامي الحنيف.

وهو قيمة تراثية غالية كونه تراث شعبي حظي بالتدوين والحفظ ، لأن التراث الشعبي المادي وغير المادي ، للأسف معرض للزوال بزوال أصحابه ورواته ، ما لم يحفظ و يدوّن.

وكونه مساهمة تاريخية عظيمة ، يعود إلى عناية الشاعر سعيدان بتأريخ الأحداث التي جرت في زمن الثورة التحريرية الجزائرية ، بل وفي العالم العربي أيضا ، خاصة أن عامة الشعب وخاصتهم (ممن يعنى بذلك) ، كانوا منشغلين بالثورة ومجريات أحداثها ، وكان الجهل يسود عامة الشعب ، فما كانوا يعرفون لا الكتابة ، ولا القراءة ، إلا قلة قليلة منهم ، ومن بينهم صاحب الديوان.

أما كونه وسيلة فعالة لتأجيج الثورة ، واستنهاض الهمم ، فهو ما قمنا بالبرهنة عليه من خلال تطبيق المقاربة التداولية على خطاباته الشعرية .

وقد كان تطبيق هذه المقاربة التداولية على نصوصه الشعرية ، يتجاوز كل ما قد قيل عنها سابقا ، في أن المقاربة التداولية ، لا تتجاوب مع النصوص الأدبية في التحليل التداولي ،ولكن ربما كان هذا القول يعنى أساسا ، بالنصوص الأدبية الغامضة ، التي يعتمد أصحابها في كتابتها ،على الرمز و الغموض كغاية، يهدفون من ورائها إلى تعدد قراءاتها.

بالإضافة إلى سبب آخر ساهم في تجاوب هذه الدراسة (المقاربة التداولية) ، مع الخطاب الأدبي (الشعر الشعبي) الذي طبقنا عليه، وهو بساطة لغة الديوان ، لأن اللغة المستعملة في نظم القصائد هي اللهجة العامية ، المتداولة بين الناس في منطقة تديكلت (العربية الدارجة)، لكن بإبداع و فنية ، فكان الإلمام ببنياتها ، ودلالاتها ، ومقصدياتها أمرا يسيرا.

ويمكن إضافة سبب آخر ساهم كثيرا ، في سهولة إدراكنا لسياقات النصوص ومقاماتها ، وهو أن الشاعر في مقدمة كل قصيدة ، يوضح لنا مناسبة ، و زمكانية كتابتها .

كما أن ظروف إنشاء هذه الخطابات الشعرية ، خاصة الثورية منها ، كانت ضاغطة، حتّمت على الشاعر صياغة خطاباته ، دون الاهتمام بجماليات و فنيات الشعر ، من مجازات وتخييلات ، كما أنه ملم بالخلفيات المعرفية لمن يوجه خطاباته إليهم ، ومن باب التيسير ومراعاةً لخلفياتهم (الأمية و الجهل) ، كانت اللغة المستعملة في نظم القصائد صريحة ، قد تتضمن أحيانا تشبيهات و تمثيلات ، من باب تقريب المعنى .

وحتى في القصائد الرمزية ، (الفكرة ، الحب والمادة ، قصيدة غير معنونة ص66، حرب رمضان) ، يشرح الشاعر مسبقا أنها رمزية ، وليس قصده من ترميزها إلا اتقاءً لآذان ومتابعات المستعمر الفرنسي ، الذي كان يتابع و يترقب كل من يحاول توعية المواطنين ، وحثهم على الثورة ضد المستعمر.

ومن الأسباب والدوافع التي ساهمت في إنجاح خطاب الشاعر التومي (الشعبي) ، وهو مقصديته السليمة و مصداقيته ، وتوجهه الفكري الديني الإصلاحي ، الذي كان بارزا في جميع قصائده ، وكونه كان ناشطا سياسيا ، وعضوا في جمعية العلماء المسلمين ، أعطاه ذلك هيبةً ووقار ، فاحترمه الشعب و احترم كلمته .

كما أن اعتماده على السلطة الدينية و مفردات المعجم الديني ، القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، كإستراتيجية للإقناع والتوجيه ، منح خطاباته الشعرية الثورية الإصلاحية، قوة الحجة والبرهان .

واعتماده أيضا على إستراتيجية الإفهام و الحوار ، بإعطاء أمثلة حية واقعية ، أوتاريخية للمتلقي ، لغرض تقريب المعنى له، وإيضاحه ، هو مما يضمن سلامة تأويل المتلقي للخطاب الموجه له ، وفهم المقصد منه على الوجه الصحيح.

كما أن أساليب الاستمالة و الترغيب ، و الترهيب تارة ، هي الإستراتيجية الملائمة لكسب القلوب ، و تقبّل النصائح و التوجيهات التي يتضمنها الخطاب الموجه ، من الشاعر إلى المتلقي .

وأهم خلاصة توصلنا إليها هي أن الشعر الشعبي على بساطته ، وعفويته ، وبساطة مواضيعه ولغته ، إلا أنه نص إبداعي ، له شاعرية تستهوي القلوب و النفوس ، وقد استطاع به الشاعر أن يستنهض الهمم ، و يبلغ المقاصد التي كان ولا زال يهدف إليها من خلاله ، ويرفع الأخلاق و المبادئ والقيم الإنسانية ، التي دعى الدين الإسلامي إليها.

وبالتالي فهو خطاب شعري ذو بعد ثوري إصلاحي ، موجه من الشاعر التومي سعيدان، إلى المتلقي الحاضر أو المفترض ، لغاية سامية يهدف إليها كأي شاعر غيور على وطنه ولغته .

و في النهاية أرجو أن أكون قد وفقت في الإلمام قدر الإمكان ببحثي هذا ، واستوفيت كل العناصر الضرورية في إجراء المقاربة التداولية ، لاستقراء الخطاب الشعري الشعبي في ماهيته ، و الثوري الإصلاحي في مضمونه ومقاصده ، للشاعر التومي سعيدان في ديوانه "مغذي الأرواح ومسلي الأشباح" ، راجية من الله أن تبلغ حدا مرضيا من القبول ، وبالله التوفيق.

ملحق

المفردات

المفردة	شرحها	القصيدة	الصفحة	البيت
الامرار	المـر	نـــداء	15	14
طرشون		الفصل بين عهدين	18	2
الأسلام	أمةالإسلام(المسلمين)	الاسلام والرجعية	19	9
شرّق	مزق	الاسلام والرجعية	21	2
سولان الله	أسألك بالله	الاسلام والرجعية	22	12
يسرط	يبلع	الاسلام والرجعية	22	13
مضيغ	مضغ	الاسلام والرجعية	22	13
كال	أكل	الاسلام والرجعية	22	13
تجيه	تأتيه	الاسلام والرجعية	22	13
نزقوا	نصرخ	الاسلام والرجعية	23	19
وخّر	تراجع	الاسلام والرجعية	23	20
حسيان	آبار	الاسلام والرجعية	24	25
انسوس	أنفض	الاسلام والرجعية	24	27
مقواني	مجبر	الاسلام والرجعية	24	29
قضاني	أفناني	الفكـــــــرة	29	2
أمدحقل	مندفع	الفكـــــــرة	29	2
الزعاف	الزعل	الفكـــــــرة	29	6
دير	اعمل – افعل	الفكـــــــرة	29	8
تويل	سبيل لحل	الفكـــــــرة	29	8
تترهوج	تتمايل	الفكـــــــرة	30	24
يحصل	يتورط	الفكـــــــرة	30	32
الشرشي	البحث	الفكـــــــرة	30	33
مريولة	وصف للمحبوبة	الفكـــــــرة	30	36
هدس	خطر	الحب والمـــــادة	32	1
انعدّل	اعمل – افعل	الحب والمـــــادة	32	1
البوهالي	المعتوه – الضائع	الحب والمـــــادة	32	3
أنولّوا	نصير	الحب والمـــــادة	33	7
سفالي	شخصاً أقل منه	الحب والمـــــادة	33	8
الحدج	الحنضل	الحب والمـــــادة	34	20
شاتي	أشتهي – أريد	الحب والمـــــادة	35	25
امفرعس-امفرقع	(دمر – هدم)	الحب والمـــــادة	35	30
تايكة	شاطرة	الحب والمـــــادة	36	36
تاهلي	نوع من النبات عريض الساق	الحب والمـــــادة	36	39
سومتو	ثمنه	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	44	10
امكبس	مرصوص –مضموم	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	36	39
ياحصراه	واحسرتاه	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	44	1
يده النيف	تأخذه الغيرة والعزة	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	44	4
الفقهار	الضياء	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	44	6
الصوردي	الدرهم	مغذية الأرواح ومسلية الأشباح	44	8

راشي	هش	الاستعمار لا يحترم العهود	84	47
أمشات	ذهبت	الناطقون بالضاد	87	6
إيلا	إذا	الناطقون بالضاد	87	9
كمشه	حفنة	الناطقون بالضاد	87	16
نقصبوا	نقصص	الناطقون بالضاد	87	18
نح	نزع – ازال	الناطقون بالضاد	88	23
ريت	رايت	الناطقون بالضاد	88	29
البطحة	الساحة	الناطقون بالضاد	89	7
نتقوه	اقتلعوه	الناطقون بالضاد	89	7
الشاقور	الفأس	أذناب الاستعمار	90	28
لمرار	الاسهال الحاد	أذناب الاستعمار	97	2
قروي	مدّ أو مكيال	أذناب الاستعمار	97	7
زقايب	أكياس	أذناب الاستعمار	97	7
لعوين	المؤونة	أذناب الاستعمار	97	7
الزمبلوك	الظرف البريدي	أذناب الاستعمار	97	8
الكار	المد	أذناب الاستعمار	97	14
الحدج	الحنضل	أذناب الاستعمار	98	19
مغرف	ملعقة	دستور الجزائر الأول	99	9
الخويان	الجوعان	دستور الجزائر الأول	100	21
لاحها	رماها – ألقاها	عيد العلم و الشيخ عبد الحميد	104	13
سلكوا	أنقذه	عيد العلم و الشيخ عبد الحميد	104	15
ذوك	أولائك	عيد العلم و الشيخ عبد الحميد	105	21
الماره	العلامة	عيد العلم و الشيخ عبد الحميد	105	24
إيلو	إذا	نعي مولاي جلـــــول	107	30
خلّاو	تركوا – خلفوا	نعي مولاي جلـــــول	107	31
اينين	يئن	أول احتفال اقتصادي بعين صالح	110	9
ياسر	كثيرا	أول احتفال اقتصادي بعين صالح	110	9
الطّوب	قوالب الطين	أول احتفال اقتصادي بعين صالح	110	18
القودرون	الزفت	أول احتفال اقتصادي بعين صالح	110	19
موّرناه	علمناه	أول احتفال اقتصادي بعين صالح	110	19
يخطيك	يتركك	حـــــرب رمضـــــان	120	3
ندّوك	نأخذك	حـــــرب رمضـــــان	121	16
نوّارتنا	زهرتنا	العبـــــور	123	21
تسعطاعش	تسعة عشر	الدستـــــور	131	2
الكار	الحافلة	الدستـــــور	131	10
امربطينو	مقيديه	الدستـــــور	133	36
الشّاعلة	المشتعلة	الدستـــــور	133	37

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

1- التومي سعيدان ، ديوان " مغذي الأرواح و مسلي الأشباح" ، ط1،مطبعة عمار فرقي باتنة، الجزائر، (د ت).
2- التومي سعيدان ، سكان تديكلت القدماء و الإتكال على النفس ، ط2، العالمية للطباعة والخدمات،الجزائر، 2012م.
3- التومي سعيدان ، لقاء خاص مع الشاعر في بيته بدائرة عين صالح ، حي القصبة، 02 – 10 – 2012م.

قائمة المراجع:

4- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ،تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد ،دار الرسالة الحديثة، القاهرة ، (د ت ط).
5- أبو الفتح ابن جني ، الخصائص ، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية 1371هـ - 1952م.
6- أحمد بن فارس ، مجمل اللغة، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، ج1، ط2، مؤسسة الرسالة –بيروت ،1406هـ - 1986م.

7- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون،ج2،(د ط)، دار الفكر للنشر،1399هـ-1979م.

8- أحمد الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،ج1، المكتبة العلمية للنشر– بيروت(د ط ت).
9- أحمد توفيق حجازي ، الوعي الروحي أسرار الرموز و الأمثال،ط1، دار غيداء للتوزيع والنشر، عمان – الأردن 2007م.

10- أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب،ج1، ط1، القاهرة، 1429 هـ - 2008 م.

11- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، النوع الحادي و الخمسون : في وجوه مخاطباته، ج2، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت 2003م.
12- حسان الباهي ، الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004م.
13- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، 2009م.

14- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي الزمن- السرد- التبئير، ط1، المركز الثقافي العربي ، بيروت،1989م.

15- سليمان أبو داود (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود ،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج4، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.(د ط ت).

16- سيد الدين علي الآمدي ، الأحكام في أصول الأحكام، تح أحمد محمد شاكر،ج1،ط1،دار الآفاق الجديدة بيروت 1980م.

17- شكري غالي ، أدب المقاومة مصطلحات الثورة ،ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت) .

18- صابر حباشة،التداولية و الحجاج مداخل و نصوص،ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق 2008م.

19- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان ،ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997م.

20- عبد الجليل مرتاض، لسانيات النص و التبليغ، منشورات دار الأديب ،(د ط ت).

21- عبد الرحمان بالنوي، تديكلت – دراسة جغرافية و تاريخية و عادات البلاد - (د ط) وهران 1909م.

22- عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ط1،دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 2010م.

23- عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ،ج1،ط1، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، 1422 هـ - 2001 م.

24- عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، (د ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،2006م .

25- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، ج1، ط1 ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة 1902م.

26- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، تقديم محمود محمد شاكر ، ط2004،5م.

27- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت – لبنان،2004م.

28- علي آيت أوشان ،السياق و النص الشعري من البنية الى القراءة ، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب ،2000م

29- علي دبوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث،(د ط) ،الجزائر،1974م.

30- محمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ،ج3،ط3، بيروت، 1414هـ.
31- محمد الترمذي ، سنن الترمذي – كتاب صفة القيامة – باب61رقم2517، وحسنه الألباني، انظر صحيح سنن الترمذي 309/2، وصحيح الجامع الصغير برقم 1068.
32- محمد العبد ، النص و الخطاب و الاتصال ،ط1، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعية، القاهرة ، 2005م.
33- محمد باي بلعالم ، قبيلة فلان في الماضي الحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر ، الجزائر : طبع دار هومة ، 2004م .
34- محمد بن ادريس الشافعى ، ديوان الإمام الشافعي ، ج 1، المكتبة الشاملة .
35- محمد بن بريكة ، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان ،ط1، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع، الجزائر، 1427هـ، 2006م.
36- محمد فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير ، ج 26،ط3، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، 1420هـ.
37- محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب،ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب ، 1991م.
38- محمد راتب النابلسي، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن و السنة،ج1، ط2، دار المكتبي - سورية - دمشق - الحلبوني - جادة ابن سينا،1426 هـ - 2005 م.
39- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ،ط4، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء – المغرب ،2005م.
40- محمد مفتاح ، في سيمياء الشعر القديم ، دراسة نظرية و تطبيقية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء-المغرب ،1409هـ، 1989م.
41- محمد صلاح الدين شريف ، الشرط و الإنشاء النحوي للكون ،ج1 ، كلية الأداب بمنوبة، تونس، 2002م.
42- محمد محمد يونس علي،المعنى و ظلال المعنى ،أنظمة الدلالة في العربية ،ط2، دار المدار الاسلامي ، 2007م.
43- محمد محمد يونس علي ، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب،ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت – لبنان، 2004م.
44- محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، 2002م.
45- محمود الزمخشري، أساس البلاغة،تح: محمد باسل عيون السود، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،1420هـ، 1998م .

46- محمود الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر .مج 5-6 ، دار المصح، القاهرة ،.(د ت)، (د ط).

47- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي اللساني ،ط1، دار الطليعة ، بيروت ،يوليو2005م.

48- مسلم بن الحجاج ،المسند الصحيح تح: محمد فؤاد عبد الباقي،ج1، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان.

49- هيثم الأيوبي و آخرون ، الموسوعة العسكرية ،ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،1981م

المراجع الأجنبية المترجمة:

50- أوبير ريفوس و بول ،رانينوف،مشيل فوكو، (مسيرة فلسفية) ، ترجمة جورج أبي صالح ، مراجعة وشروح مطاع الصفدي ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، (د ط ت).

51- باتريك شارودو – دومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب ، تر عبد القادر المهيري وصمود حمادي ،(د ط)،منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة تونس 2008م.

52- سارة ميلز ، الخطاب، ترجمة :يوسف بغول، (د ط)، مطبعة البعث، قسنطينة، 2004م.

53- فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين الى غوفمان ،تر: صابر حباشة ،ط1، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سورية ،2007م.

المراجع الاجنبية:

54- Emile Benveniste problémes de linguistique générale Edition gallimard 1966.

55- Haslet B . J , Communication stratégique action in contexte , I pid ,

المجلات و الدوريات:

56- بودريس درهمان ، مدخل الى النظرية التداولية ، مجلة علوم التربية ، المغرب، (د ط) (د ت).

57- فاطمة درارس ، العنوان والفجوة عند الشاعر محمود درويش، فوضى على باب القيامة أنموذجا،(مقال)، مجلة آفاق علمية ، العدد الخامس 05،جانفي 2011م، المركز الجامعي تنمراست – الجزائر.

58- عبد الله الفَيفي، ما موقع الشعر من عالم اليوم ؟(مقال)، جامعة الملك سعود، نشر في مجلة آفاق علمية ،المركز الجامعي تمنراست – الجزائر، العدد الرابع 4، جوان 2010م.

المواقع الالكترونية:

59- أحمد حطيبة ، شرح رياض الصالحين ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،http://www.islamweb.net، ،ج93.

60- جميل حمداوي ، المقاربة التداولية في الأدب و النقد ، مقال ، شبكة الانترنت ، بتاريخ6يناير2012م. الرابط:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article31163

61- فؤاد بوعلي، مناهج ،تحليل الخطاب، "منتديات جمعية المترجمين واللغويين المصريين" الرابط http://egyforums.co

الفهرس

الفهـــــــرس

مقدمة.....

مدخل.....1 - 18

الفصل الأول: مفاهيم في المباحث الأساسية للتداولية.....20

مفهوم التداولية.....20

المفهوم المعجمي..... 22

المفهوم الاصطلاحي 24

مميزات التداولية..... 27

فروع التداولية..... 28

مفهوم الخطاب.....29

مفهومه العام: المعجمي – الاصطلاحي في التراث العربي..... 30

مفهوم الخطاب في منظور اللسانيين الغربيين..... 33

مفهوم الإستراتيجية و أنواعها..... 36

مفهوم إستراتيجية الخطاب..... 38

أنواعها..... 41

إستراتجية الحوار و الإفهام..... 41

إستراتيجية الإقناع..... .43

إستراتيجية التوجيه..... 43

الفصل الثاني: استراتيجيات الخطاب في شعر التومي سعيدان: 45

أ) الشاعر و ديوانه..... 46

سيرة حياة الشاعر.....46

مولده وبيئته..... 46

تعليمه وموهبته الشعرية..... 46

مسيرته المهنية والسياسية.....49

وفاته.....51

وصف الديوان..... 52

من ناحية الشكل..... 52

من ناحية المضمون..... 55

ب) دراسة في وسائل الإقناع و الحجاج المنجزة في شعر التومي:.....57

القصيدة الأولى "نداء" 57

قصيدة "الفصل بين عهدين"..... 58

قصيدة" الاسلام و الرجعية"..... 59

قصيدة " الاعياد و الاتحاد"..... 64

قصيدة "الفكــرة" 65

قصيدة"الحب و المادة".....66

قصيدة"من وحي البصائر"..... 67

قصيدة"مغذية الارواح و مسلية الاشباح" 68

قصيدة"تأثير العلماء على الاستعمار".....73

قصيدة"دمعة على خد".....73

قصيدة"رثاء".....75

قصيدة"تحقيق حلم".....76

قصيدة"الاستعمار لا يحترم العهود".....79

قصيدة"الناطقون بالضاد".....81

قصيدة"جبهة التحرير".....83

قصيدة"أذناب الاستعمار".....84

قصيدة"دستور الجزائر الاول".....86

قصيدة"عيد العلم و الشيخ عبد الحميد".....88

قصيدة"نعي مولاي جلول"..... 89

قصيدة"أول احتفال اقتصادي بعين صالح".....90

قصيدة"رائد القومية العربية.....91

قصيدة الثورة الزراعية.....92.

قصيدة طريق الوحدة الإفريقية.....92

قصيدة"حرب رمضان و العبور".....93

قصيدة"الدستور".....93

خاتمة.....أ-ج

ملحق.....96

قائمة المصادر و المراجع.....102

الفهرس.....108

الفهـــــــرس

مقدمة..... أ- د

مدخل.....1 - 18

الفصل الأول: مفاهيم في المباحث الأساسية للتداولية.....20

مفهوم التداولية.....20

المفهوم المعجمي..... 22

المفهوم الاصطلاحي 24

مميزات التداولية..... 27

فروع التداولية..... 28

مفهوم الخطاب.....29

مفهومه العام: المعجمي – الاصطلاحي في التراث العربي..... 30

مفهوم الخطاب في منظور اللسانيين الغربيين..... 33

مفهوم الإستراتيجية و أنواعها..... 36

مفهوم إستراتيجية الخطاب..... 38

أنواعها..... 41

إستراتجية الحوار و الإفهام..... 41

إستراتيجية الإقناع..... .43

إستراتيجية التوجيه..... 43

الفصل الثاني: استراتيجيات الخطاب في شعر التومي سعيدان: 45

أ) الشاعر و ديوانه..... 46

سيرة حياة الشاعر.....46

مولده وبيئته..... 46

S'appuyant sur cultuelle ainsi que sur lexique religieux et de vocabulaire, comme une stratégie convainquante et . d'orientation.

S'appuyant aussi sur la stratégie de dialogue et compréhensible, en fournissant des exemples réalistes, historique de le destinataire.

ملخـــــــص العربية :

ديوان " مغذي الأرواح ومسلي الأشباح " قيمة تراثية أدبية غالية ، كونه تراث أدبي شعبي حظي بالتدوين والحفظ ، وهو فضاء فكري خالص ، تجلى في توجه الشاعر الفكري الإصلاحي ، الذي تجسد في كل كلمة من خطاباته الشعرية.

وكونه مساهمة تاريخية عظيمة ،يعود إلى عناية الشاعر سعيدان بتأريخ الأحداث التي جرت في زمن الثورة التحريرية الجزائرية ، بل وفي العالم العربي أيضا ، وهو أيضا وسيلة ناجحة و فعالة لتأجيج الثورة ، واستنهاض الهمم ، وهذا ما قمنا بالبرهنة عليه من خلال تطبيق المقاربة التداولية على خطاباته الشعرية .

وبتطبيق هذه المقاربة ، تجاوزنا الاعتقاد السابق، الذي يقول أن المقاربة التداولية ، لا تتجاوب مع النصوص الأدبية في التحليل التداولي،ولكن ربما كان هذا القول يعنى أساسا ، بالنصوص الأدبية الغامضة .

وحتى في القصائد الرمزية ، (الفكرة ، الحب والمادة ، قصيدة غير معنونة ص66، حرب رمضان) ، يشرح الشاعر مسبقا أنها رمزية ، وليس قصده من ترميزها إلا اتقاءً لآذان ومتابعات المستعمر الفرنسي .

ومن الأسباب والدوافع التي ساهمت في إنجاح خطاب الشاعر التومي (الشعبي) ، اعتماده على السلطة الدينية و مفردات المعجم الديني ، كإستراتيجية للإقناع والتوجيه، منح خطاباته الشعرية الثورية الإصلاحية، قوة الحجة والبرهان .

واعتماده أيضا على إستراتيجية الإفهام و الحوار ، بإعطاء أمثلة حية واقعية ، أو تاريخية للمتلقي ، لغرض تقريب المعنى، وإيضاحه ، هو مما يضمن سلامة تأويل المتلقي للخطاب الموجه له ، وفهم المقصد منه على الوجه الصحيح.

كما أن أساليب الاستمالة و الترغيب تارة، و الترهيب تارة أخرى، هي الإستراتيجية الملائمة لكسب القلوب ، و تقبّل النصائح و التوجيهات التي يتضمنها الخطاب الشعري.

وبالتالي فهو خطاب شعري ذو بعد ثوري إصلاحي ، موجه من الشاعر التومي سعيدان، إلى المتلقي الحاضر أو المفترض ، لغاية سامية يهدف إليها كأي شاعر غيور على وطنه ولغته .